کتاب درر السلوك
فی سیرة الملوك سلاطین

اودواوة چقاة خزینه کتابدر

آیا صوفیه
۷۸۷۰

٧٨٧٠

تأليف الإمام
أبي الحسن علي حبيب
الماوردي

كتاب دُرَرُ السُّلوك في سِياسَةِ المُلوك

الشريف سلطان الملك
الملك المؤيد والناصر قلاوون
الصالحي
غياث نصر الله
نصر عن محمد
وحجبه

وصف هذه النسخة سلطانها الأعظم والخاقان المعظم
مالك البر والبحر خادم الحرمين الشريفين السلطان
السلطان السلطان الغازي محمود خان
صحيح شرعا حرره الفقير احمد سيح زاده
المقيم بأوقاف الحرمين الشريفين
عفر لهما

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الحق معزا لمن اعتقده وتوخاه
ومعينا لمن اعتمده وابتغاه وجعل الباطل مذلا لمن
أثره وارتضاه ومرغما لمن اظهره واقتفاه واختص
ملك الملوك بها الدولة وضيا الملة وغياث الامة
باعتقاد الحق واجتناب الباطل حتى تمكن من نواصي من
اراده ومانعه وجعل له من ولده سندا يظاهره
وعضدا يوازره فالحمد لله حمدا يوازي جميل نعمه
ويضاهي جزيل قسمه وصلى الله على بشير كل تقي مهتد
ونذير كل معتد محمد وآله وصحابته هداة الصالحين
الاخيار وعداة الطالحين الاشرار وسلم كثيرا

امّا بعد فان الله سبحانه لبليغ حكمته
وعدل قضاياه جعل الناس اصنافا مختلفين واطوارا
متباينين ليكونوا بالاختلاف مؤتلفين وبالتباين
متفقين واختص منهم راعيا اوجب عليه حراسة
رعيته واوجب على الرعية صدق طاعته وجعله
الوسيط بينه وبين عباده ولم يجعل بينه وبينهم احدا
سواه فكان ملك الملوك بها الدولة ممن خصه الله
باستراع خلقه واستودعه حفاظ حقه وجعلنا
اهل طاعة نتمسك بعصم الموالاة ونمت باخلاص
المصافاة واخلص الرعية طاعة من كان لحق الرعية
مذكرا ولحق سلطانه معترفا وقد دعاني صدق الطاعة

الى انشآ كتاب وحيز ضمنته من جمل السياسة ما ان كان
الملك قد حاز علم اضعافه بحسن بديهته واصبل رايه
فاني لا اعدم ان اكون قد ادّيت من لوازم الطلعة ما يحسن
موقعه ان شآ الله عزّ وجلّ وقسمته بابين

الباب الاوّل في اخلاق الملك

الباب الثاني في سياسة الملك

وترجمته بدرر السلوك في سياسة الملوك اذ كان ما
تضمنه داعيا اليه وحاثا عليه وانا اسئل الله تعالى
حسن المعونة والتوفيق واليه ارغب في امدادي
بالرشد والتسديد وهو حسبي ونعم الوكيل

الباب الاوّل في اخلاق الملك

اعلم ان الانسان مطبوع على اخلاق قلّ ما حمد جميعها
او ذمّ سايرها وانما الغالب ان بعضها محمود وبعضها
مذموم

قال الشاعر

وما هذه الاخلاق والطبايع فمنهن محمود ومنها مذمّم
وليس يمكن صلاح مذمومها بالتسليم الى الطبيعة والتفويض
الى الغريزة الا ان يرتاض لها برياضة تاديب وتدرّج فيستقيم
له الجميع بعضها خلق مطبوع وبعضها بالتخلّق مسموع
لان الخلق طبع وتكلف

قال الشاعر

ايها المتحلّي غير شيمته ومن سجيّته الايثار والكرم
عليك بالقصد فيما انت فاعله ان الخلق يانى دونه الخلق
وشريف الافعال لا يتصرّف فيه الا شريف الاخلاق سواء كان

ذلك طبعًا أو تطبعًا وقد نبه الله تعالى على ذلك في كتابه
بقوله لنبيه عليه الصلاة والسلام وانك لعلى خلق عظيم
لأن النبوة لما كانت أشرف منازل الخلق ندب إليها من قد أكمل
فضايل الأخلاق فأذا بدا الإنسان بسياسة نفسه كان
على سياسة غيره أقدر وإذا أهمل مراعاة نفسه كان
بإهمال غيره أجدر وقد قال بعض الحكماء
المتقدمين من بدأ بسياسة نفسه أدرك سياسة الناس
وقد قيل في منثور الحكم لا ينبغي للعاقل أن يطلب طاعة
غيره وطاعة نفسه عليه ممتنعة قال الشاعر

أتطمع أن يطيعك قلب سعدى وترعم أن قلبك قد عصاكا
وربما حسن ظن الإنسان بنفسه فأغفل مراعاة أخلاقه

فدعاه حسن الظن بها الى الرضا عنها وكان الرضا عنها
داعيًا الى الإنقياد ففسد منه ما كان صالحًا ولم يصلح منها
ما كان فاسدًا لأن الهوى اغلب من الرأي والنفس أجور من
الأعداء لأنها بالسوء أمارة والى الشهوات مايلة وكذلك قال
النبي صلى الله عليه وسلم الشديد من ملك نفسه
وقال بعض الحكماء من رضي عن نفسه أسخط عليه الناس
وحسن الظن بها اسباب فمن اقوى اسبابه الكبر والاعجاب
وهو بكل احد قبيح وبالملوك أقبح لأنه دال على صغر الهمة
مخبر بعلو المنزلة وكفى بالمرء ذما أن تكون همته دون
منزلته وقد قال بعض اشراف السلف لا ينبغي
ان يرى شيئًا من الدنيا لنفسه خطرًا فيكون تابعًا والملوك

أعلا الناس همما وأبسطهم أملا فلذلك كان الكبر والعجب
أقبح وكان عبد الله بن العباس رضوان الله عليه يقول
سمعت أبا بكر الصديق رضوان الله عليه يقول
إذا أردت شريف الناس كلهم فانظر إلى ملك في زي مسكين
ذاك الذي حسنت في الناس أفئدة وذاك يصلح للدنيا وللدين
لكن السكينة والوقار احمد وأولى به من الكبر والإعجاب
ومن الناس من لا يفرق بين الكبر والوقار وهذا جهل
بمعناهما فأما الكبر والإعجاب فقد يجتمعان في الذم
ويفترقان في المعنى فالإعجاب يكون في النفس وما نظنه
من فضائلها والكبر يكون بالمنزلة وما نظنه من علوها
وللكبر أسباب فمن اقوى أسبابه علو اليد ونفوذ الأمر

وقلة مخالطة الأكفاء وللإعجاب أسباب فمن اقوى اسبابه كثرة
مديح المقربين وإطراء المتملقين الذين قد استبضعوا الكذب
والنفاق واستصحبوا المكر والخداع فاذا وجدوا
لنفاقهم سوقا ولكذبهم تصديقا جعلوه في ذمم
النوكى سلما فاعتاضوا به رتبا وعوضوا منه نشبا
وحسبوه زينا فصار شينا وحكم الممدوح بكذب
قولهم على صدق عمله وجعل لهم طريقا الى الاستهزاء به
ومن اجل ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم احثوا
في وجوه المداحين التراب وقيل لأنوشروان لم تهاونون
بالمدح إذا مدحتم قال لأنا رأينا ممدوحا هو بالذم أحق
وهذا أمر ينبغي لكل واحد أن يراعيه من نفسه ويفرق

بين متملقه احتيالا وبين من يخلص له النصيحة من أهل الصدق
والوفا الذين هم مرايا محاسنه وعيونه فانه ان اغفل ذلك
داهن نفسه ونافق عقله واستفسد الوفا والصدق اهل
وصار ماكلة النفاق والملق فأعقبه ذلك ضررا وأورثه
تهجينا وذما وهو الملك أولى من حذر ذلك وتوقاه
لأن حضرة الملوك كالسوق التي يجلب اليها ما ينفق فيها
وكل داخل عليه فانما يريد التقرب اليه بقوله وفعله
فاذا علموا منه ايثار الموافقة على الهوى وجب المدح والاطراء
جعلوا ذلك أربح بضايعهم لديه ومن أجل ما يتقرب به
اليه فيتصور ذمه حمدا وقد كسب به ذما
ويتصور قبحه حسنا وقد كسب به قبحا فهذا

٦

مما يجب أن يتوقاه الملك ويحذره واذا كان الوقار
محمودا وكان الانسان به مأمورا فواجب أن يصف منه
فصولا دالة يتبع بعضها بعضا فمن ذلك قلة التسرع
الى الشهوات والتثبت عند الشبهات واجتناب
سرعة الحركات وخفة الاشارات ثم إطراق
الطرف ولزوم الصمت فانه أبلغ في الوقار واسلم
هذا الكلام مع أن الملك ملحوظ الأنفاس منقول اللفظ
وقد قال بعض الحكماء الحصر خير من الهذر لان
الحصر يضعف الحجة والهذر يتلف المهجة وقال
بعض البلغاء الزم الصمت فانه يكسبك صفوة المحبة
ويؤمنك سوأة المغبة ويلبسك ثوب الوقار

ويكفيك مؤونة الأعتذار ● وتكلم اربعة من حكما الملوك
بأربع كلمات كانها رميت عن قوس فقال
ملك الروم أفضل علم العلماء السكوت وقال
ملك الفرس اذا تكلمت بالكلمة ملكتني ولم املكها
وقال ملك الهند أنا على ردّ ما لم اقل اقدر مني
على ردّ ما قلت وقال ملك الصين ندمت على الكلام
ولم اندم على السكوت وليعلم ان الحاجة الى الصمت اكثر من
الحاجة الى الكلام عارضه فلذلك ما وجب ان يكون صمت
العاقل في الاحوال اكثر من كلامه في كل حال حكى
ان بعض الحكماء راى رجلا يكثر الكلام ويقلل السكوت
فقال له ان الله تعالى انما جعل لك اذنين ولسانا واحدا

ليكون ما تسمعه ضعف ما تتكلم به فاذا دعته الحاجة الى
الكلام سبره وقبل اللسان وزن الانسان فاذا تكلم تحذر
من الاكثار فقل من كثر كلامه الا وكثر ندمه وقد قيل
من كثر كلامه كثرت آثامه ولا ينبغي ان يعجب بجيد كلامه
ولا بصواب منطقه فان الاعجاب به سبب الاكثار منه
وقد قيل من اعجب بقوله اصيب بفعله ويعتمد
الصدق في مقاله واجتناب الكذب من مقاله فقد
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رحم الله امرأ
اصلح من لسانه وقصر من عنانه والزم طريق الحق مقوله
ولم يعود الخطل مفصله فيحذر الكذب ولا يرخص لنفسه
فيه للاعلى وجه التورية في خداع الحروب فان الحرب خدعة

وقد جاءت السنة بإرخاص الكذب فيها على وجه التورية دون
التصريح فإن أرخص لنفسه فيه على غير هذا الوجه صار به
موسوما لأن الإنسان بقدر ما يسبق إليه يعرف وبما
يظهر من أخلاقه يوصف وبذلك جرت عادة الخلق أنهم
يعدلون العادل بالغالب من أفعاله وربما أساء ويفسقون
الفاسق بالغالب من أفعاله وربما أحسن فإذا وسم بالصدق
وقصر كلامه على المهم وكان تبشيره وإنذاره على حسب خطر
الأمور التي يجري فيها وعده أو وعيده كانت ألفاظه
القبابا وكان ذمه عذابا واستغنى عن كثير من الإرعاب
والإرهاب وقد اختير للملوك عذوبة الكلام وجهارة
الصوت لأنه أوقع وأرهب وحكي أن أبا بكر

الصديق رضي الله عنه كتب إلى عكرمة ابن أبي جهل وهو عامله
بعمان إياك أن توعد في معصية بأكثر من عقوبتها فإنك
إن فعلت أثمت وإن تركت كذبت ويحذر الغضب
ويجتنبه فإنه شر قاهر واضر معاند وليس
يفسد الأمور وينتقض التدبير إلا عند غلبته وشدة
فورته فإن مني به فليمض فعلا ولا ينفذ
حكما حتى يزول وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال إذا استشاط السلطان تسلط
الشيطان وحكي أن بعض ملوك الفرس كتب
كتابا فدفعه إلى وزيره وقال إذا غضبت فناوليه
وكان فيه مكتوب مالك والغضب إنك لست بإله

إنما أنت بشر ارحم من في الارض يرحمك من في السماء
وانما كان يفعل هذا ليزول عنه الغضب خوفا من قبح
آثاره وشدة إضراره وكذلك الحكم والحجاج
ويجب أن يحذره فهو آليف الغضب وحليف العطب
والانقياد للرأي أحمد والرفق في الأمور أوفق
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ان الرفق لم يكن في شئ قط الا زانه ولا نزع منه الا
شانه وليعلم ان في الأمور التي تدبرها ما لا يمضي الا
بفرط الصرامة والهيبة وان ذلك لا يكون الا لمن
خيف غضبه وخشيت سطوته فليجعل بدلا
من الغضب تغضيا لا غضبا لان الغضب فعله يمكنه

أن يقف منه على الحد المطلوب والغضب انفعال منه
اضطر اليه لا يمكنه أن يقف منه على حد ولقد أصاب
من كانت عقوبته للأدب وأخطأ من كانت عقوبته
للغضب وهذا مما ذكرنا في معنى الطبع والتطبع
وعلى هذا القياس فلا ينبغي أن تستقره السرور فتملا
البشاير قلبه وتخلب الأفراح لبه فينسبه العدو
الى ضعف العزيمة ولين الهمة بل يصور في نفسه
ويقدر في فكره أن البشاير وان جلت محتقرة اذا
قيست بكبر همته وأضيف الى عظم منزلته ولذلك
الحوادث اذا طرقت والنوازل اذا ألمت كانت
سهلة الوطاة في جنب صبره وشهامته قليلة

الأثر لسعة صدره وبعد همته ❁ فأنظر أعلية منها طارئ
بأن فضله على من سواه بالصبر والمسكنة عند جزعهم والوقار
والأناة عند استفزازهم فيكون بصبره ممتثلا لأمر الله عز وجل
فيما أناه ❁ راجيا للظفر فيما يقصده ويتوخاه ❁

وقد قالت الحكماء بالصبر على مواقع الدرك الخطوة

وقال الشاعر

أذا المرء لم يأخذ من الصبر حظه ❁ تقطع من أسبابه كل مبرم
ولتعلم الصبر قد ينقسم ثلثة اقسام وهو في كل قسم منها
محمود ❁ فأول أقسامه الصبر على ما فات ادراكه من نيل
الرغايب ❁ أو نقضت أو قاته من نزول المصايب وبالصبر
في هذا تستفاد راحة القلب وهدو الحواس وفقد

الكره

ان ع

الصبر فيه منسوب الى شدة الاسى وافراط الحزن فأن
صبر طايعا ❁ والا احتمل كارها هما لازما وصبرا ثقيلا ❁
وثاني اقسامه الصبر على ما نزل من مكروه أو حل من امر
مخوف والصبر في هذا بفتح وجوه الاراء وبتوقي مكايد
الاعداء ❁ وفي مثله **قال** الله سبحانه وتعالى
واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور

وقالت الحكماء مفتاح عزيمة الصبر يعالج

مغاليق الامور ❁ وفقد الصبر في هذا منسوب الى
الخرق ❁ وثالث أقسامه الصبر فيما ينتظر وروده
من رغبة يرجوها او يخشى حدوثه من رهبة يخافها
وبالصبر والتلطف في هذا يدفع عادية ما يخافه من

لعله داغا

الشر ويقال نفع ما يرجوه من الخير وفي مثله قالت
الحكماء من استعان بالصبر نال صميمات الامور وفقد
الصبر فيه منسوب الى الطيش وليس يصح الصبر في
الامور بترك التسرع اليها دون كتمان السر فيها فان
كتمان السر من اقوى اسباب الظفر وابلغ في كيد العدو
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال استعينوا على الحاجات بالكتمان وقال
امير المومنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه سرك
اسيرك فاذا تكلمت به صرت اسيره وقال
بعض الشعراء من حصن سره فله بحصنه خصلتان الظفر
بحاجته والسلامة من السطوات وليعلم ان من الاسرار

ما لا يستغني فيها عن مطالعة ولي مخلص واستشارة
ناصح فليتحفظ فيها وليختر لها امناءها فان الركون الى
حسن الظن ذريعة الى افشاء السر فليس كل من كان
على الاموال امينا يجب ان يكون على الاسرار مومنا والعفة
على الاموال ايسر من العفة عن اذاعة الاسرار لان
الانسان قد يذيع سر نفسه لمبادرة لسانه وسقط
كلامه وتسمح على اليسير من ماله صيانة وحفاظا عليه ولا
يرى ما اذاع من سره كبيرا في جنب ما حفظه من يسير ماله
مع عظم الضرر الداخل عليه فمن اجل ذلك كان امناء
الاسرار اشد تعذرا واقل وجودا من امناء الاموال
فاذا ظفر بهذا الامين المعوز او دعه ايداع متحفظ

فأن وجده موثرا للوقوف عليه حذره وتوقاه فإن طالب
الوديعة خائن **وقد قال الشاعر**

لا تدع سرا إلى طالبه ۞ إنك ان الطالب السر مذيع ۞

وأولى الأمور في الاسرار كتمها لتؤمن مخاوف الاذاعة
واستطالة الاستدلال **وقد قال** بعض الحكماء
من أفشى سره كثر عليه المتامرون **وقد قال**

الشاعر

ألم تر ان وشاة الرجال لا يتركون أديما صحيحا
فلا تفش سرك الا اليك فان لكل نصيح نصيحا

وقال بعض الحكماء اذا وقفت الرعية على سرا بر الملوك
هان عليها أمرها ۞ وينبغي للملك ان لا يمضي الامور بها جس

رأيه ۞ وتتايج فكره تحرزا من افشاء سره ۞ والاستعانة
برأي غيره حتى يشاور ذوي الاحلام والنهى واهل الامانة
والبقي ممن قد حنكهم التجارب فارتاضوا لها وعرفوا
عند مواردها الامور حقايق مصادرها فانه ربما كان
استبداده برأيه اضر عليه من اذاعة سره ۞ وليس
كل الامور المبرمة اسرارا مكتومة ۞ ولا الاسرار المكتومة
بمشاورة النصحا فاشية معلومة **وقد قال**
النبي صلى الله عليه وسلم ما سعد احد برأيه ولا شقي عن
مشورة **وقال** بعض الحكماء الاستشارة عين الهداية
وقد خاطر من استغنى برأيه **وقال** بعض البلغاء
من حق العاقل أن يضيف الى رأيه آرا العلماء ويجمع

الى عقله عقول الحكماء فالرأى الفذ ربما زل
والعقل الفرد ربما ضل ويعتمد على استشارة من
صلاحه موصول بصلاحه إذا كان عريا من الهوى في المشورة
فان الهوى يصد عن الرأي ويمنع من الروية **وقال**
النبي صلى الله عليه وسلم حبك للشيء يعمي ويصم اي يعمى عن
الرشد ويصم عن الموعظة ولا يصور في نفسه قبح الخطأ
الى رأي غيره فانه ليس يريد الرأي للافتخار به وانما يريده
للانتفاع **وقد قيل** الحكماء من كمال عقلك استظهارك
على عقلك **وقال** بعض البلغاء اذا اشكلت عليك
الامور وتغيرت لك الجمهور فارجع الى رأي العقلاء
وافزع الى استشارة العلماء ولا تأنف من الاسترشاد ولا

تستنكف من الاستمداد فلان تسأل وتسلم خير من أن
تستبد وتندم وتكثر من استشارة ذوي الالباب لا سيما
في الأمر الجليل فان لكل عقل خبرة من الصواب و
من التدبير ولقل من ضل عن الجماعة رأي او ذهب
عنهم صواب ولا تجمعهم على المشورة فيكون الرأي واحدا
او يوقع بينهم احنا ولا يطلع بعضهم على استشارة بعض
ليحتمل كل واحد منهم فكره في الرأي طمعا في الخطوة بالصواب
وليكن مع ذلك غير وان في الفكرة ولا مقصرا في الارتياء
اتكالا على الاستعانة بآرائهم فيكون في الرأي مفوضا
وفي الامر مقلدا **وقال** بعض الحكماء الاستسلام
لرأي المشير هو العزل الخفي فاذا اظهروه من مكنون

لعله
ولعلها يضل

ارآيهم سبرها برآيه واختبرها بعقله وسألهم عن أصولها
وفروعها وباحثهم عن أسبابها وثنايجها ولم يبد لهم
رأيه فانه يستفيد بذلك ثلث خصال **احداهن**
معرفة عقله وصحة رويته **والثانيه** معرفة
عقل صاحبه وصواب رأيه **والثالثه** وضوح
ما انغلق من الصواب فاذا تقرر له الرأي أمضاه
ولم يأخذهم بعواقب الاكراه فيه فانما على الناصح الاجتهاد
وليس عليه ضمان النجح **وقد قيل** في المثل الطالب
للنجاح كالضارب للقداح سهم له وسهم عليه وليعلم
ان أربعة اخلاق مقابله ليس يعرى منها أو من اضدادها
ملك فان استعملت في غير موضعها أو أخرجت عن حدها

الى زيادة أو نقصان ذمت وان استعملت في موضعها
ووقف منها على حد حمدت فأحدها الرقة والرحمة
تحمد عند اعتدالها وفي موضعها وتذم عند غلبتها ومثلها
لانها اذا غلبت أفضت به الى ترك الحدود واضاعة
الحقوق فيدعو ذلك الى هياج طبايع المفسدين وتحريك
اطماع المغلبين واخل من عرى السياسة ما كان بالرهبة
ملتئما وبخوف العقوبة منتظما ومن نسب الى رحمة
تبطل حدا أو تضيع حقا كان كما قال المقدمون كالطبيب
الذي يرحم العليل من ألم الحديد ومرارة الادويه
فتؤديه رحمته اياه الى هلكته وتورده حياض
منيته فتصير رحمته له ابلى من قسوته ورفقه

به أضر من غلظته ثمر الخلق الثاني المقابل لهذا الخلق
الثاني المقابل لهذا الخلق وهو القسوة والغلظة فانها
اذا غلبت أفضت به الى مجاوزة الحدود في الجناة
وعقوبة الاتقياء البراة فيدعو ذلك الى ايحاش
المستانسين وتفرق المتالفين واساءة
ظنون المناصحين ويصير كل ولي له خصما وكل امرئ
عليه حنقا وربما ظن بعض الناس القساوة صرامة
فيذهب في ذلك بعيدا الان الصرامة قلة الغفلة عن
الجرايز ومعرفة الامور على الحقايق حتى لا يتدلس
عليه السقيم بالسليم ولا يتصور الخالع بصوره
الطايع والقساوة تصور في الحدود وتعد في

الحقوق تقفه عليه اتباع اهوايه وتحكيم فاسد
رايه ثمر الخلق الثالث وهو السماحة والعطاء
فان وقف على حده وهو بذل ما تحتاج اليه عند الحاجة
وايصاله الى مستحقه بقدر الطاقه كان محمودا
وان تجاوز هذا الحد صار منسوبا الى التبذير والاضاعة
وصار باز ايتدبره حقوق مضاعة واذا انتشر في الناس
ان امواله تنال بغير استحقاق وتدرك بغير سعي
اثار ذلك مطامع المحتدين وتوجهت اليه وفود
السايلين قد القوا كلف الاحتراف واستبدلوا
به دني الاقتراف فان رام ارضاء جميعهم لم يطق لاتساع
امالهم وقوة اطماعهم ولو اطاق لافسد سعي اتباعه

وخبثت نيات أشياعه ❁ اذ سوى بينهم في العطا وبين من لم
يسع سعيهم ❁ ولا سد مسدهم ❁ وقال بعض الحكماء لا
خير في السرف ولا سرف في الخير وان خص بالعطا قوما
وحرم قوما لحقه من ذم من حرمه ❁ اضعاف ما لحقه
من حمد من وصله ❁ ثم الخلق الرابع المقابل لهذا
الخلق وهو البخل والامساك المودي الى تقرف الكرام
وذم الخاص والعام ❁ وانصراف قلوب الاولياء
واستطالة السنة الاعداء فيصير ذلك مفضيا الى ايثار
الخيانة على الامانة والغش على النصيحة لانه اذا حرم الناصح
الامين كحرمان الخائن الضنين ولم ير الناصح موثرا كان
للخيانة موثرا ثم يفضح للحاشية ابواب الريب في قبح المكاسب

اخلاق
وحبيث المطالب ❁ وقبول الرشا فهذه اخلاق اذا
الملك نفسه بتعديلها استوى نظام مملكته ❁ واستقام
اود دولته ❁ ثم يحفظ نفسه من حسد غيره فان قدره
يجل عن مذمته وظاهر الحسد اقبح من باطنه وباطنه
اضر من ظاهره لانه في الظاهر شده الاسى على الخير ان يكون
للناس الافاضل وهذا قبيح في الظاهر وخاصة بالملوك
الذين هم اس الفضايل ومعدن الخيرات وباطنه انه مذمة
للنفس كره ود للحسد غير جالب لنفع ولا دافع لضرر ولا موثر
في عدو فاما المنافسة فهي غير الحسد فلا باس ان يتنافس
الاكفاء في فضايلهم وربما غلط قوم فظنوا ان المنافسة
في الخير هي الحسد وليس الامر كما ظنوا لان المنافسة طلب

التشبه بالافاضل من غير ادخال ضرر على الفاضل
والحسد مصروف الى الضرر لان غايته أن يعدم الفاضل
فضل فهذا هو الفرق بين المنافسة والحسد ويجتنب
الامتنان في الاحسان والبذخ بالجميل فانه من ضيق النفس
وتابع لفساد الاخلاق الا أن يرى قوما كفروا احسانه
وقابلوا اعطيانه فيخرج ذلك مخرج التهديد جزاء
لقلة شكرهم وكفر احسانه اليهم فيكون ذلك منه احسانا
انفا يستوجب به الشكر وليكن من دأبه أن يتصفح في
ليلته ما فعله في نهاره فان الليل اجمع للفكر وأحضر
للخاطر فان كان صوابا أحكمه وأمضاه وان كان قد مال
فيه عن الصواب بادر الى استدراكه ان امكن وانتهى عن مثله

في المستقبل وليعلم انما صدر من أفعاله فليس يخلو فيه
من ثلثة أحوال اما ان يكون قد اقتصد في فعلها ووقف
منها على حدها وهو العدل في كل الامور او يكون قد أفرط
فيها أو قصر عنها وكلاهما ميل عن القصد وخروج عن الحق
فليعرف ذلك بسبره وتحريه وليفكر فيه قبل نفوذه
وتقضيه وليكن مع ذلك متصفحا لافعال غيره فما
اعجبه من جميلها واستحسنه من فضايلها بادر
الى فعله وزين نفسه بالعمل به فان السعيد من
تصفح أفعال غيره فانتهى عن سيئها واقتدى بأحسنها
فنال الهني المنافع وأمن خطر التجارب وقد روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال السعيد من وعظ

بغين وقد قال الشاعر

ان السعيد لمن وعظته ... وفي التجارب تحكيم ومعتبر

ولا يغفل عن الحذر والاحتراس وجعل التوكل على الاقدار

طريقا الى اضاعة الحزم فقال الحذر وقيل لبعض

الحكماء ما الحزم فقال ان تحذر ما يمكن كونه قيل

لبعض الحكماء ما الحزم فقال الحذر وقيل لبعض

الحكماء ما الحزم فقال ان تحذر ما يمكن كونه قيل فما

العجز قال ان نأمن ما يمكن كونه وليعلم ان بعض شدة

الاتقاء والحذر مما يدعونا اليه ما يسقي ويحذر فان

استعمال ذلك في غير موضعه ادخله شدة اتقائه فيما كان

منه بد واشفاقه وقيل من التوقي ترك الافراط

في التوقي ويحذر من اعتقاد الطيرة فانه ليس شيء اضر

بالرأي ولا افسد للتدبير منها مع ورود السنة باجتنابها

والنهي عنها ومن ظن ان الطيرة ترد قضاء او تدفع محذورا

فقد وهم فاما الفال فمحمود لان فيه تقوية للعزم

وباعثا على الجد فقد تفأل رسول الله صلى الله عليه

وسلم في غزواته وحروبه ولا يحرك من الامور ما

كان ساكنا ولا يفتح منها ما كان مرتقا ما لم يغلبه

اضطرار فقد قيل في المثل لا تفتح بابا يعييك سده

ولا تلتمس سهما يعجزك رده ولا تفسد امرا يعييك

اصلاحه ولا تغلق بابا يعجزك افتاحه

وقد قال الشاعر

ايّاك والأمر الذي ان توسّعت موارده أعيت عليك المصادر
فما حسن أن يعذر المرء نفسه وليس له من سائر الناس عاذر
لا يأمر بمعروف إلّا وهو ابعد الناس فعله ولا ينهى عن منكر إلّا وهو
ابعد الناس تركه ولا يلم احدا بما لا يلوم عليه نفسه ولا يأمرهم بشر لا يأتمر
فان الناس باخلاق ملوكهم يستنون وعلى شاكلتهم يجرون
لانهم العلم المشار اليه والغرض المقصود نحوه
وقد قال بعض الحكماء اصلح نفسك لنفسك يكن الناس
تبعا لك وقال المامون اسوس الناس من ساس نفسه
لرعيته فأسقط عنه مواقع حجتها وقطع مواقع حجته
عنها لا يأنف من حق ان لزمه او حجة ان قامت فان الرجوع
الى الحق اولى من المقام على ما سواه لمن علم وضوح حجته

فارس

فان كل امرئ انما يخاطبه باصغر لسانيه ويحبس نفسه
عن اقامة الحجة عليه ويراعي امر شهواته فانها من نتايج
الهوى المذموم فيأتي منها ما لم يكن في العقل قبحا ولا في
الشرع محظورا فقد قال بعض الحكماء اذا تفرغ
الملك للهوى تفرغت الرعية لافساد ملكه وقال
بعض البلغاء من اثر الهوى ضاعت رعيته ومن
داوم السكر فسدت رويته فيهذب نفسه بسبر
اخلاق ويراقب وليه كمراقبة عدوه ولا يحدث له الانسة
والانبساط بترك التحفظ عنده ولي او نسيب فقد وقال
بعض الحكماء ليكن استحياؤك من نفسك اكثر من استحيائك
من غيرك فهذه جملة كافية في اخلاق الملك الرشيد

الباب الثاني في سياسة الملك

حق على كل من مكنه الله عز وجل في أرضه وبلاده
وايمنه على خلقه وعباده ان يقابل جزيل نعمه بحسن
السيرة ويجري في الرعية بجميل السيرة قال الله
سبحانه وتعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما
أحسن الله اليك وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من سار فيمن ظهر به بسيرة حسنة كان
له أجرها وأجر العاملين بها الى يوم القيمة من غير
ان ينقص من اوزارهم شيء ومن سار فيمن ظهر به
بسيرة سيئة كان عليه وزرها ووزر العاملين
بها الى يوم القيمة من غير أن ينقص من أوزارهم شيء

وحكي ان عثمن بن عبد الله وقف على محمد بن سماعة
القاضي وهو في مجلس قضايه يحكم بين الناس فقال اسمع
لا سمعت بابن سماعة ثم انشاء يقول

لقد كلفت يا مسكين أمرا ... تضيق له قلوب الخائفينا
أتعلم ان رب العرش قاض ... وتقضي انت بين العالمينا

فقام ابن سماعة من مجلسه ودموعه جارية على خده وليس
احد أولى بالحذر والاشفاق واجرى بالنصب والاجتهاد
ممن تقلد أمور الرعية لانقيادهم لحكمه وتصرفهم بين
أمره ونهيه وصلاح جملتهم بصلاحه وفساد
أمورهم بفساده وقد قالت الحكماء رشاد الوالي
خير من خصب الزمان وأرشد من حرس بولاية الدين

الولاة

وَاسْتَظْهَرَ بِنَظَرِهِ صَلَاحُ الْمُسْلِمِينَ وَرُبَّمَا أَهْمَلَ بَعْضُ الْمُلُوكِ
أَمْرَ الدِّينِ وَعَوَّلَ فِي أُمُورِهِ عَلَى قُوَّتِهِ وَكَثْرَةِ أَجْنَادِهِ وَلَيْسَ
يَعْلَمُ أَنَّ أَجْنَادَهُ إِذَا لَمْ يَعْتَقِدُوا وُجُوبَ طَاعَتِهِ
فِي الدِّينِ كَانُوا أَضَرَّ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ ضِدٍّ مُبَايِنٍ لِاقْتِرَاحِهِمْ عَلَيْهِ
مَا لَا يَنْهَضُ بِهِ وَتَحَكُّمِهِمْ عَلَيْهِ بِمَا لَا يَثْبُتُ لَهُ فَإِنْ سَمِعُوا بِنَابِغٍ
نَبَغَ عَلَيْهِ قَوِيَ طَمَعُهُمْ فِي اجْتِيَاحِ أَمْوَالِهِ وَلَمْ يُقْنِعْهُمْ
اسْتِيعَابُ حَالِهِ فَكَانَ مِنْهُمْ عَلَى شَفَا جُرُفٍ لَا يَأْمَنُ سُقُوطَهُمْ
بِهِ وَقَدْ قِيلَ مَنْ جَعَلَ مُلْكَهُ خَادِمًا لِدِينِهِ انْقَادَ لَهُ
كُلُّ سُلْطَانٍ وَمَنْ جَعَلَ دِينَهُ خَادِمًا لِمُلْكِهِ طَمِعَ فِيهِ
كُلُّ إِنْسَانٍ **وَقَالَ** بَعْضُ الْحُكَمَاءِ يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَأْنَفَ
أَنْ يَكُونَ فِي رَعِيَّتِهِ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ دِينًا مِنْهُ كَمَا يَأْنَفُ أَنْ يَكُونَ

فِيهِمْ مَنْ هُوَ أَنْفَذُ أَمْرًا مِنْهُ **وَقَالَ** اردشير
بن بابك فِي عَهْدِهِ إِلَى مُلُوكِ فَارِسَ إِنَّ الدِّينَ وَالْمُلْكَ
تَوْأَمَانِ لَا قِوَامَ لِأَحَدِهِمَا إِلَّا بِصَاحِبِهِ لِأَنَّ الدِّينَ أُسٌّ
وَالْمُلْكَ حَارِسٌ وَلَا بُدَّ لِلْمُلْكِ مِنْ أُسِّهِ وَلَا بُدَّ لِلدِّينِ مِنْ حَارِسِهِ
لِأَنَّ مَا لَا حَارِسَ لَهُ ضَائِعٌ وَمَا لَا أُسَّ لَهُ مُنْهَدِمٌ وَكَيْفَ يَرْجُوا
مَنْ ظَاهَرَ بِإِهْمَالِ الدِّينِ اسْتِقَامَةَ مُلْكٍ أَوْ صَلَاحَ حَالٍ
وَقَدْ صَارَ أَعْوَانُ دَوْلَتِهِ أَضْدَادَهَا وَسَائِرُ رَعِيَّتِهِ
أَعْدَاءَهَا مَعَ قُبْحِ أَثَرِهِ وَعِظَمِ وِزْرِهِ **وَكَذَلِكَ قَالَ**
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الْإِمَارَةِ ثُمَّ تَكُونُ
حَسْرَةً وَنَدَامَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَنِعْمَتِ الْمُرْضِعَةُ وَبِئْسَتِ الْفَاطِمَةُ
وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ الْمَلِكُ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ

وبلادِهِ ولن يستقيم أمرُ خلافتِهِ مع مخالفتِهِ فالسعيدُ
من الملوك من وفا الدين بملكه ولم يقو الملك بدينه وأحيا
السُّنَّة بعدله ولم يمتها بجوره وحرس الرعيَّة بتدبيره
ليكون لقواعد ملكه موطِّدًا ولأساس دولته مشيِّدًا
ولأمر الله تعالى في عباده ممتثلًا وأصل ما يبنى عليه
السياسة العادلة في سيرة الرغبة والرهبة والإنصاف
فأمَّا الرغبة فتدعو إلى التآلف وحسن الطاعة وتبعث
على الإشفاق وبذل النصيحة وذلك من أقوى الأسباب
في حراسة المملكة وقد قيل من وثق بإحسانك أشفق
على سلطانك وقال أبروز أجهل الناس من يعتمد
في أموره على من لا يأمل خيره ولا يأمن شره وأمَّا الرهبة

فتحسم خلاف ذوي العناد وتمنع سعي أهل الفساد
وذلك من أقوى الأسباب في تهذيب المملكة وقد
قيل من أمارات الجد حسن الجد ومن علامات الدولة
قلة الغفلة وقال بعض البلغاء من أعرض عن الحذر
والاحتراس وبنى أمره على غير أساس زال عنه العز واستولى
عليه العجز وأمَّا الإنصاف فهو العدل الذي به يستقيم
حال الرعيَّة وتنتظم أمور المملكة وقد قيل
من عدل في سلطانه استغنى عن أعوانه وقال
بعض الحكماء الملك يبقى على الكفر ولا يبقى على الظلم
فاخذه بعض شعراء هذا العصر فقال
عليك بالعدل إن وليت مملكة واحذر من الجور فيها غاية الحذر

فالملك يبقى على الكفر البهيم ولا يبقى مع الجور في بدو ولا حضر

وقال الاسكندر لحكماء الهند ايما افضل العدل
ام الشجاعة قالوا اذا استعمل العدل استغنى عن الشجاعة

وقال ازدشير اذا رغب الملك عن العدل رغبت
الرعية عن الطاعة وامّا الانصاف ففيه اعزاز
الملك وتوفير الاموال وليس في العدل ترك مال من
وجهه ولا اخذه من غير وجهه بل كلي الامرين عدل
لا استقامة للملك الا بهما **وقال** بعض الحكماء لا
يستغني الملك عن الكفاة ولا الكفاة عن الافضال
ولا الافضال عن المادة ولا المادة عن العدل
فالملك بغير كفاة مختل والكفاة بغير الافضال

مسلطون والافضال بغير المادة منقطع وانما تقيم
المواد بتسليط العدل وفي تسليط العدل حياة الدنيا
وبها الملك وليس تصح هذه الامور الا بالوقوف
على حدها واستعمال كل واحد منها في موضعه فان استعمال
الرغبة في موضع الرهبة فساد في السياسة وما احسن
ما قال المتنبي في هذا المعنى

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف في موضع الندى

وقال بعض الحكماء من سكران السلطان الرضا عن
بعض من يستوجب السخط والسخط عن بعض من يستوجب
الرضا وليعلم انه لا استقامة له ولرعيته الا بتهذيب
اعوانه وحاشيته لانه لا يقدر على مباشرة الامور بنفسه

وانما يستنيب فيها الكفاة من اصحابه وقد شبه المتقدمون
السائس المدبر للمملكة في السلم والحرب بالطبيب المدبر
للجسد في حفظ الصحة وعلاج الامراض وشبهوا
اليدين في بطشها بالجند والاعوان والرجلين بالكراع
والظهر والعينين بالحجاب والحرس والاذنين
باصحاب البريد والاخبار واللسان في نطقه بالوزراء
والكتاب بالخطباء والاعضاء المجاورة للقلب بحاشية الملك
على طبقاتهم في القرب والبعد وحاجة الخاصة الى
العامة في الاستخدام كحاجة الاعضاء الشريفة الى
التي ليست بشريفة لان بعض الامور لبعض سبب وعوام
الناس لخواصهم عدة ولكل صنف منهم الى الآخر حاجة

واذا كان اعوانه منه بمنزلة اعضائه التي لا قوام للجسد
الا بها ولا يقدر على التصرف الا بصحتها واستقامتها وجب
عليه تقويم عوجهم واصلاح فاسدهم وابادة من لا يرجا
صلاحه منهم كالسلع التي لا يستقيم الجسد الا بقطعها
قال ابرويز من اعتمد على كفاة السوء لم يخل من
رأي فاسد وظن كاذب وعدو غالب واصل ما
يبنى عليه قاعدة امره في اختيار اعوانه وكفاته ان يخبر
اهل دولته ويسبر جميع حاشيته بتصفح عقولهم وارائهم
ومعرفة هممهم واغراضهم حتى يعرف بواطن احوالهم
وكوامن اخلاقهم فانه اذا فعل ذلك وجد طباعهم مختلفة
وهممهم متباينة فيصرف كل واحد فيما طبع له وجعل عليه

ولا يُعطِ أحدهم منزلة لا يستحقها ولا يستكفيه أمر ولاية
لا ينهض بها ولا ينقصه عن مرتبة التي يستحقها حسن كفاية
فكلا الأمرين مضر ❁ وبالسياسة مُعِدّ ❁ وقد
قال بعضهم ما جور لا شيء أضر على الملك من استخبار من لا
يصدق إذا أخبر واستكفاء من لا ينصح إذا دبّر ❁
وقيل لبزرجمهر كيف أضطرب بعض أمورك
ساسان وفيهم ملك قال لأنهم استعانوا بأصاغر العمال
على أكابر الأعمال قال أمرهم إلى ما آل وقيل من
استعان بأصاغر رجاله على أكابر أعماله فقد ضيّع العمل
وأوقع الخلل ❁ وقد قال بعض حكماء البلغاء
من استوزر غير كافٍ خاطر بملكه ❁ ومن استشار غير

أمين أعان على هلكه ❁ ومن أسرّ إلى غير ثقة ضيّع سرّه
ومن استعان بغير مستقل أفسد أمره ❁ ومن ضيّع عاقلاً
دلّ على ضعف عقله ❁ ومن اصطنع جاهلاً أعرب عن
فرط جهله ❁ وليحذر تولية أحد بشفاعة شفيع
أو لرعاية حرمة إذا لم يكن مضطلعاً بثقل ما ولي
وراناهضاً بعبء ما استكفي فقد قال بعض الحكماء
من قلّد لذي الكفاية سلم ❁ ومن قلّد لذي الرعاية ندم
وكذلك لا يورّث الأبناء منازل الآباء إذا لم يتناسبوا
في الشيم والطباع كما لا يرث الأشرار مراتب آبائهم
الأخيار ولا يستخدم في الكتبة من كان أبوه كاتباً
إذا كان هو غير كاتب فإن أحبّ مكافأة أحد من هو لاء فأ

بالمال والصلة وأضرب عن اطماعه في الولاية ليكون
قاضيا لحقوقهم بماله ولا يكن قاضيا لحقوقهم بملكه
حكي انه كان على باب كسرى ساجة منقوشة
بالذهب عليها مكتوب العمل للكفاة وقضا الحقوق
على بيوت الاموال ومزراة قد تصدي للعالي وليس
من ابنائها فلا باس باستكفايه اذا كان على ما تصدي
له مطبوعا واليه منسوبا اذ لا سبيل الى نجباء اولاد
نجباء على الابد وبالملك اشد الحاجة الى تفقد اربع
طبقات لا يستغني عن تفقد احوالهم نفسه لانهم
عماد مملكته وقوام دولته فالطبقه
الاولى الوزراء لانهم خلفاؤه وعلى ايديهم تصدر

أفعاله فإن أحسنوا نسب اليه إحسانهم وان اساءوا
أضيف اليه مساويهم مع عظم الضرر الداخل عليه في
مملكته والقدح الموهن لدولته وقد قال
النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله تعالى بالامير خيرا
جعل له وزير صدق ان نسي ذكره وان ذكر اعانه
واذا اراد الله تعالى به غير ذلك جعل له وزير
سوء ان نسي لم يذكره وان ذكر لم يعنه
والطبقه الثانيه القضاة والحكام الذين هم
موازين العدل بتفويض الحكم اليهم ورؤس السنه
باتباعها في احكامهم وبهم ينتصف المظلوم من الظالم
في رد ظلامته والضعيف من القوي استيفاء حقه

فإن قل ورعهم وكثر طمعهم أماتوا السنة بأحكام
مبتدعة وأضاعوا الحقوق بأهوا متبعه
فكان قدحهم في الدين أعظم من قدحهم في المملكة في ابطال
العدل اعظم من اضرارهم بالمتحاكمين اليهم في ابطال
الحق وقد قيل من اقبح الاشيا سخف القضاه
وظلم الولاه وقال بوشروان ما عدل من جارت
قضاته ولا صلح من فسدت كفاته والطبقه
الثالثه امرا الاجناد الذين هم اركان دولته
وحماه مملكته والذابون عن حريم رعيته والمالكون
أعنة أجناده والعاطفون بهم على صدور نصرته
وموالاته فإذا استقامت له هذه الطبقه استقام

له جميع أعوانه وإن اضطربت عليه فسد نظام
تدبيره مع سايراجناده لأنهم الى طاعة امرايهم
اسرع ولقول كبرايهم أطوع فإذا خاف سطوة
من بهم بسطوا ولم يامن جانب من بهم بنحوا كان
بملكه مغررا وبنفسه مخاطرا وقد قال
بعض الحكما ان الوفا لك بقدر الخزا منك
والطبقة الرابعه عمال الخراج الذين هم
جباة الاموال وعمار الاعمال والوسايط
بينه وبين رعيته فان نصحوا في اموالهم وعدلوا في
اعمالهم توفرت خزانته بسعة الدخل وعمرت
بلاده ببسط العدل وقد قيل فضيلة

السلطان عماره البلدان وان خانوا فيما اجتبوه من
أموالهِ وجاروا فيما تقلدوه من اعمالهِ نفضت
موادّه وخربت بلاده وتغيّر عليه لقلة دخله
اجناده وتولّد منه ما ليس يحل فساده وقد
قال بعض الحكماء ظلم العمّال ظلمة الأعمال
وحُكي ان المامون جلس يوما وحضر العمّال
فقبّلهم أعمال السواد والاحناط في القعود فلما فرغ
قام اليه عبيد الله بن الحسن العنبري فقال يا امير
المؤمنين ان الله تعالى دفعها اليك أمانة فلا تخرجها
عن يدك قبالة قال صدقت وفسخ ذلك وانما أراد
عبيد الله بن الحسن العنبري ان تقبيل الاعمال ذريعة

الى تحكيم العمّال وتحكيمهم سبب لخراب الاعمال فتنبّه
المامون على مراده وهاهنا طبقة اخرى يجب أن
يتفقّد احوالهم بنفسه غير انهم تخصّون بحراسة
نفسه لا لسياسة ملكه وهم الذين يستخدمهم في مطعمه
ومشربه وملبسه ومن يقرب منه في خلوته فانهم حصنه
من الاعداء وجنّته من الاسواء وقد اختار حكماء
الملوك أن لا يستخدموا في مثل هذا الا احد ثلثة
اما من تربّى مع الملك وألفه واما من ربّاه الملك
على أخلاقه واما من ربّي الملك في حجره فان هولاء
اهل صدق في موالاته ونصح في خدمته وغلوّ في حفاظه
ورعايته ومن أجل ذلك وجب أن يكون احسانه اليهم

أكثر وتفصله عليهم أظهر ويتولى فعل ذلك نفسه
ولا يكلهم الى غيره **فقد** قيل في سالف الحكم
انه ليس من استكره نفسه في حظك كمن كان طاعتك
ثم يفقد من سوى هذه الطبقات بحسب منازلهم
في خدمته **فقد** قيل من قضيت واجبه أمنت
جانبه وليعلم ان لكل طبقة من الحاشية والاعوان
افة مفسدة وبلية فادحة يقف عليها عند سبرهم
واختبارهم ويظهر ما استكن منها بالبحث عن احوالهم

وقد قيل

أفة الملوك سوء السيرة ❁ وافة الوزراء خبث السريرة
وافة الجند مخالفة القادة ❁ وأفة الرعية مفارقة الطاعة

وافة

وأفة الزعماء ضعف السياسة ❁ وأفة العلماء حب الرياسة
وأفة القضاء شدة الطمع ❁ وأفة العدول قلة الورع
وأفة الملك تضاد الحماة ❁ وأفة العدل ميل الولاة
وأفة الجري اضاعة الحزم ❁ وأفة القوي استضعاف الخصم
وأفة المجد عواقب القضا ❁ وأفة المعد اسفاض الآراء
وأفة المنعم قبح المن ❁ وأفة المذنب سوء الظن

فاذا وقف على مواد فسادهم ❁ واسباب آفاتهم حسم
بحثه وسبره المواد المفسدة ❁ وقطع بكشفه وخبره الاسباب
الموهنة لتستقيم له مصادر الامور ويامن نتايج
التقصير ويكون كثير الاعتناء بسبره حماة البلاد وولاة
الاطراف الذين قد فوض اليهم امانة ربه واستخلفهم على

حِفَاظ خَلْقِهِ ۞ فيندب لذلك من أمنائه من قد حان
خِصَال التفويض ۞ واستحق تحميله وتهامته الولاية
والتقليد **وقد قال** ازدشير في بعض حكمه لا يصلح
لسد الثغور وقود الجيوش وتدبير الخيول وحراسة
الإقليم الا من تكاملت فيه خمس خلال ۞ حزم يتيقن به
عند موارد الأمور حقايق مصادرها ۞ وعلم يحجز عن
التهور في المشكلات الا عند تجلي فرصها ۞ وسجاعة
لا تنقضها الملمات تواتر جوانحها وعظيم هولها ۞ وصدق
في الوعد والوعيد يوثق منه بالوفاء عليهما ۞ وجود
يهون عنده تبذير الاموال عند ازدحام السؤال عليه
وهذه خصال ان لم يحرزها ذو السياسة وكملها

اولوا الرعاية كان اخلالهم فيما يقلدون من اعمالهم بقدر
اخلالهم بما عدموه من تكامل خصالهم وقد يقترن بهذه
الخصال ما يخالف له على حسب اختلاف الزمان فرتما حمد
من اخلاقه في بعض الازمان اللين واللطف وفي بعض الازمان
الخشونة والعنف فان لكل زمان حكما ولكل قوم تدبيرا
وقد وصف عمر بن الخطاب رضوان الله عليه اخلاق
الولاة **فقال** لا يصلح ان يلي امر الامة الا حيص العقدة
قليل الغرة ۞ بعيد الهمة لا يخشى في الله لومة لائم
ثم يكون شديدا من غير عنف ليّنا من غير ضعف جوادا
من غير سرف ۞ وهذه الاخلاق التي وصفها يجب ان
تكون لازمة لكل والي مطوعة في كل مدبر ثم يحفظ مراتب

جماعتهم وينزل كل واحد منهم المنزلة التي يستحقها
لكفايته وحسن اثره فإن حفظ المراتب في المملكة أولى من
حفظ السمع والبصر لعظم المنافسة فيها وكثرة
المزاحمة عليها وقد يدلس عليها كتدليس البهرج وتشبح
لها من ليس من أهلها غاصبا عليها فتصفر فيها أيدي
أربابها وينفد فيها حكم غصابها وليس كل من
نعاظم بعظيم ولا كل من تسود بسيد ولا الناسك
غير المتناسك والشريف غير المتشرف ولا الخير
في مملكة صار الرؤس فيها أذنابا والأذناب رؤسا
وهذا أمر يجب صرف الاهتمام اليه لما في نظامه
من نضارة الملك وغضارته وبهجة العيش

ولذته إذ لا شيء أعظم ايحاشا من اضاعة مثله
سعي الكفاة ورفع السفلة الدناة فإذا حمد سعي
صاحب في ولايته أقره على عمله فإنه وان حسن أن
ينقل الجند من مرتبة الى أخرى فليس بصواب ان ينقل
الجمدينة أخرى ولا صاحب خراج الى ولاية أخرى
بل تكون ولايته ما بقي على جميل السيرة فإن أتى بمعصية
او خيانة صرفه صرفا لا ولاية بعده الا عن توبة
واقلاع وكذلك القول في الحاشية والحكام والعلة
في ذلك أنه متى عرف من السلطان انه يري الصرف
والاستبدال اعتقد كل وال أن ايامه قصيرة
فعمل لسوق يومه محتجنا للاموال في صدر ولايته

ولم يلتفت الى صلاح غده فاذا صرف خلف البلاد على من
بعده مريضة ثم زادها الثاني مرضا حتى تخرب فاذا
سكنت نفس الناظر ان اعماله مقررة عليه نظرها
كنظر الثاني في غلاتهم وكان فكره في صلاح غده قبل
فكره في صلاح يومه لعلمه بان خير العاقبة او شرها
عايد عليه ومنسوب اليه وليكن نزهها عن اموالهم
غير طامع في شيء من احوالهم فانه ان طمع منهم في اليسير
اطمعهم في الكثير وان اخذ منهم مالا اخذوا منه
اضعافه فيظن انه قد ارتفق بمال غيره وهو قد
اخذ بعض حقه مع قبح المقالة وسوء العاقبة
وقد قيل من طمع في اموال عماله الجأهم

الى اقتطاع امواله وقال نوشروان من خاف
شرك افسد امرك وقال ازد شير
لا ترج خير من لا يرجو اجرك ولا تامن جانب من لا
يامن جانبك فان ظهر منهم على مال قد احتجنوه او
حق قد خانوه طالبهم به مطالبة المدين المنصف
ثم كان من وراء ايادهم بعد استيفاء حقه واسترجاع
ماله واذا وجد من بعض خدمه هفوة او تقصيرا
لم ياته عمدا ولا فعله قصدا لم يأخذه بذنب الدهر
وعوايق القضا مع حسن الثقة به فقد قيل
اي عالم لا يهفوا وصارم لا ينبوا وجواد
لا يكبوا وقال الشاعر

وَلَسْتَ مُسْتَبْرِئًا أَخَا لَا تُلَمُّهُ ۞ عَلَى شَعَثٍ أَيُّ الرِّجَالِ الْمُهَذَّبُ

وَإِذَا قَطَعَتْ بَعْضَهُمْ عَنِ الْخِدْمَةِ قَوَاطِعُ ظَهَرَتْ أَعْذَارُهَا

وَوَضَحَ بِرُهَانُهَا لَمْ يُكَلِّفْهُ فِعْلَ مَا لَيْسَ فِي وُسْعِهِ

فَقَدْ تَقْطَعُ الْمَلُولَ الْقَوَاطِعُ عَنْ حُقُوقِ أَنْفُسِهِمْ فَكَيْفَ

بِأَوْلِيَائِهِمْ وَخَدَمِهِمْ ۞ وَإِنَّ الْمَلِكَ جَدِيرٌ أَنْ لَا يَذْهَبَ عَنْهُ

صَغِيرٌ وَلَا كَبِيرٌ مِنْ أَخْبَارِ رَعِيَّتِهِ وَأَحْوَالِ حَاشِيَتِهِ

وَسِيَرِ خُلَفَائِهِ ۞ وَالتَّبَايُنِ عَنْهُ فِي أَعْمَالِهِ بِمُدَامَةِ

الِاسْتِخْبَارِ عَنْهُمْ وَبَثِّ أَصْحَابِ الْأَخْبَارِ فِيهِمْ سِرًّا وَإِعْلَانًا

وَيَنْدُبُ لِذَلِكَ أُمَنَاءَ يُوثَقُ بِخَبَرِهِمْ ۞ وَيَنْصِبُ الْمَلِكُ فِي

مَغِيبِهِ وَمَحْضَرِهِ غَيْرَ شَرِهٍ فَرِشًا وَلَا ذِي لَهْوٍ فَيَعْتَدَّ

لِتَكُونَ النَّفْسُ إِلَى خَبَرِهِ سَاكِنَةً ۞ وَإِلَى كَشْفِهِ عَنْ حَقَائِقِ

الْأُمُورِ رَاكِنَةً ۞ فَإِنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى رِعَايَةِ قَوْمٍ يَخْفَى

عَنْهُ أَخْبَارُهُمْ ۞ وَتَنْطَوِي عَنْهُ آثَارُهُمْ ۞ وَرُبَّمَا ظَنَّ

اسْتِقَامَةَ الْأُمُورِ بِتَمْوِيهِ الْحَوَشِيَّةِ فَأَفْضَى ذَلِكَ إِلَى اهْلَالِ

رَعِيَّتِهِ ۞ وَانْتِهَازِ الْعَدُوِّ فُرْصَةَ غَفْلَتِهِ وَاسْتِشَارِ

مِنْ وَهَجِ نَارِهِ وَشَرِّهِ مَا عَسَاهُ يَصْعُبُ بَعْدَ أَنْ كَانَ

سَهْلَ الْمَرَامِ ۞ وَيَقْوَى بَعْدَ أَنْ كَانَ ضَعِيفَ الْقَوَامِ

وَإِذَا كَانَ بَاحِثًا عَنِ الْأَخْبَارِ انْكَشَفَ لَهُ غِطَاءُ الْغَفْلَةِ

وَانْحَلَّتْ عَنْهُ شُبَهُ الْحَيْرَةِ فَسَاسَ الْأُمُورَ بِبَصِيرَتِهِ

وَحَرَسَ الرَّعِيَّةَ بِإِيقَاظِ عَزِيمَتِهِ ۞ وَتَهَيَّبَ أَعْوَانُهُ

فِعْلَ الْجَرَائِرِ فَاسْتَقَامُوا وَتَجَنَّبُوا قَبِيحَ الْمَطَالِبِ

فَأَنْصَانُوا وَتَكُونُ عِنَايَتُهُ بِأَخْبَارِ مَنْ بَعُدَ عَنْ حَضْرَتِهِ

كِفَايَتِهِ بِأَخْبَارِ مَنْ قَرُبَ مِنْهَا بَلْ رُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ أَهَمَّ
لِأَنَّ بُعْدَ الدَّارِ يَبْسُطُ أَيْدِيَ الظَّلَمَةِ فَإِذَا وَافَى بَعْدَ
دَارِهِمْ قِلَّةُ الْإِسْتِخْبَارِ عَنْ أَحْوَالِهِمْ أَمِنُوا فِي اتِّبَاعِ أَهْوَائِهِمْ
وَسَكَنُوا إِلَى الْغَفْلَةِ عَنْ أَفْعَالِهِمْ فَكَانَتْ أَيْدِيهِمْ مَبْسُوطَةً
فِي الرَّعَايَا وَأَهْوَاؤُهُمْ مُحَكَّمَةً فِي الْقَضَايَا فَرُبَّمَا أَفْضَى ذَلِكَ
إِلَى فَسَادِ نِيَّاتِهِمْ فِي الطَّاعَةِ لِقُبْحِ آثَارِهِمْ وَسُوءِ أَفْعَالِهِمْ
لِأَنَّ الْمُسِيءَ مُسْتَوْحِشٌ وَمِمَّا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَحْذَرَهُ
قَبُولُ السِّعَايَةِ فِي أَصْحَابِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ يُوحِشُ الْفَاضِلَ
وَيَسُرُّ الْخَائِنَ وَيَفْتَحُ لِلسُّعَاةِ أَبْوَابَ الرِّشَا وَلْيَعْلَمْ
أَنَّ السَّاعِيَ لَمْ يَحْمِلْهُ عَلَى سَعْيِهِ إِفْرَاطُ النَّصِيحَةِ مِنْهُ لِسُلْطَانِهِ
وَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ إِمَّا حَسَدًا لِمَنْ سَعَى بِهِ أَوْ طَلَبًا لِلتَّشَفِّي

بِمَا شَاءَ لِلْحَظْوَةِ عِنْدَ السُّلْطَانِ فَيُوطِئُ الْمَلِكَ الْعَشْوَةَ
وَيُدْخِلُ عَلَيْهِ الشُّبْهَةَ حَتَّى يَتَصَوَّرَ الْأَمِينَ بِصُورَةِ الْخَائِنِ
وَالْمُحْسِنَ بِصُورَةِ الْمُسِيءِ فَيَكُونُ إِضْرَارُهُ بِمَنْ سَعَى إِلَيْهِ
أَكْثَرَ مِنْ إِضْرَارِهِ بِمَنْ سَعَى عَلَيْهِ وَقَدْ رُوِيَ عَنْ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ إِيَّاكُمْ وَمُهْلِكَ الثَّلَاثَةِ
قِيلَ وَمَنْ مُهْلِكُ الثَّلَاثَةِ قَالَ الَّذِي سَعَى بِأَخِيهِ إِلَى
سُلْطَانٍ فَيُهْلِكُ نَفْسَهُ وَسُلْطَانَهُ وَأَخَاهُ وَقَدْ
قِيلَ فِي مَنْشُورِ الْحَكَمِ الْمَنْصُورِ فِي رُقْعَةٍ مُنَمَّقَةٍ تَقَرَّبَتْ
إِلَيْنَا فِيمَا بَاعَدَ مِنَ اللَّهِ وَلَا ثَوَابَ لِمَنْ أَثَرْنَا عَلَيْهِ فَإِذَا
حَسَمَ قَبُولَ السِّعَايَةِ فِيهِمْ وَأَيْقَظَ عَزْمَهُ فِي قِلَّةِ الْغَفْلَةِ
عَنْهُمْ فَإِذَا عَلِمُوا أَنَّهُ لَيْسَ يَخْفَى شَيْءٌ مِنْ أَفْعَالِهِمْ عَلَيْهِ أَقْلَعَ

السَّاعِي كَاذِبٌ لَمْ يَسْعَ إِلَيْهِ
أَوْ خَائِنٌ لَمْ يَسْعَ عَلَيْهِ
فِي أَصْحَابِهِ الْكَذِبُ ظُنُونُ السِّعَايَةِ

الخاين عن خاتته ❁ وأزداد الناصح نصحا في ولايته
وليعلم الملك أن في الأمور التي يعم نفعها إذا صلحت
وشتمل ضررها إذا فسدت فمنها أمر الدراهم
والنقود فانما يعود على الملك من نفع صلاحها
بسعة دخله وقلة خرجه أضعاف ما يعود من نفعها
على رعيته فإن سامح في غشها وأرخص في خلط الفضة
بغيرها حدث من ضرر فسادها ما يقابل نفع
صلاحها لأنه إذا خلط الفضة بمثلها وجعل
في كل عشرة خمسة خرفا وخمسة حسا ورام أن يوخذ
بقيمة الفضة الخالصة كان محالا وإن رام أن يوخذ
بقيمتها لم يجد ذلك نفعا وكانه غير ميكالا ووزنا
مع إفساد الفضة وخسران العمل وإذا طال مكثها
وكثر لمسها قبحت عند الناس فتجنبوا قبض قبيحها ورغبوا
في قبض طريها ومليحها ويهرج أصحاب اللبس عليها
بضرب كثير الغش يكون أحس من غش تلك فتفسد النقود
وتجنب الناس قبض الدراهم ويمتنعوا من بيع الأمتعة
إلا بالعين أو الفضة الخرق وتبطل معاملات الناس
فينتهتك المستور المرقوق ويصل إلى أرباب الاموال
الجامة فتدعوا الضرورة إلى تغيير الضرب
فإن غير مثله كان حاله في المستقبل كحاله في الاول
وإذا عرف من السلطان تغيير ضربه في كل عام عدل
الناس عن ضربه إلى ضرب غيره حذرا من الوضيعة

والخسران وكان عدولهم الى ضرب غيره موهنا لسلطانه
وإذا كان أمر النقد مستقيما أمن جميع ذلك وقد كان
المقدمون يجعلون ذلك دعامة من دعايم الملك وينبغي
للملك أن يقيم رعيته مقام عياله واللايذ بنه في ارتياد
موادهم واصلاح معايشهم بالاحسان اليهم وحذف
الأذى عنهم ولا يهمل مراعاة حالهم ويصرف نفسه عن
تفقد شانهم فيصيروا رعيته قهر وفريسة دهر
تتشذب باحوالهم غفلة السلطان وجوائح الزمان
فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم كلكم راع
وكلكم مسؤول عن رعيته وكتب عمر الخطاب رضوان الله
عليه الى أبي موسى الأشعري ان أسعد الرعاة من سعدت

به رعيته وأشقاهم في الدارين من شقوا به وإياك ان
ترتع ترتع عمالك فيكون مثلك مثل البهيمة رأت أرضا
خضرة ونباتا حسنا فرتعت تلتمس السمن وإنما حتفها في
سمنها وكتب الحجاج الى عبد الملك بن مروان
ان تحمله على أهل السواد فكتب اليه عبد الملك لا تكن
على درهمك المأخوذ أحرص منك على درهمك المتروك
وأبق لهم لحوما يعقدوا بها شحوما ويهتم كل
الاهتمام بأمن سبلهم ومسالكهم وتهذيب طرقهم ومفاوزهم
من أهل الدعارة والمفسدين ليمتشر الناس في متاجرهم
آمنين فتكثر جلبهم وتخصب بلادهم وينفع جميعهم
عاما ويدخل موادهم جاما فيصير رفق السلطان

بذلك أعظم من رفق رعيته وعقباه أنفع في مملكته
وينبغي أن يساوي بينهم وبين نفسه في الحق لهم وعليه ولا
يقلد من فيه شرف على مشروف ولا قوي على ضعيف
بل يعدل بين جميعهم في القضاء ويجري الحكم على الخاصة
والعامة بالسواء فإن ذلك أحسم لمواد الظلمة
وأقطع لشره الغلبة وقد قيل من جارت قضيته
ضاعت رعيته وسأل ملك ناسكا عن الخلاص
فقال الناسك ثلث اعدل في القضية واقسم
بالسوية واعدد نفسك واحدا من الرعية
وقال الوليد بن عبد الملك لأبيه يا أبه ما
السياسة قال هيبة الخاصة مع صدق محبتها

واستمالة قلوب العامة بالإنصاف لها واحتمال
هفوات الصنايع فان شكرها لاقرب الايدي اليها
وتعهد حاله الفقير بينهم بالبر والصدقة وراعي
خلة الكريم منهم بالزور والصلة فان احسانه الى الفقرا
يشكره عليه الاغنيا كان الموبذان اذا دخل على
أنوشروان يقول يا ملك الملوك استدم النعم
بالعطف على الرعية وأهن طعامك باشباع
الجايع وراياتك والتحف بالامن ناصاف الناس من
نفسك يا ملك الملوك اعط الحق من نفسك يتعاطاه
الناس وراياتك يا ملك الملوك اظهر العدل
فحيث تراك تعامل به أهل مملكتك يا ملك الملوك

وَاحْذَرِ النَّسَآءَ تَسْلَمْ ۞ وَقَدْ قِيلَ فِي مَنْثُورِ الْحِكَمِ بِالرَّاءِ
تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ ۞ وَبِالْعَدْلِ تَمْلِكُ الْبَرِيَّةُ ۞ وَيَنْبَغِي أَنْ
يُمَيِّزَ أَخْيَارَ رَعِيَّتِهِ فَيَخُصَّهُمْ بِالْإِكْرَامِ وَالتَّقْرِيبِ وَيَجْمَعَ
أَشْرَارَهُمْ بِالْإِبْعَادِ وَالتَّادِيبِ لِيَرْغَبُوا فِي مَنَازِلِ
الْأَخْيَارِ وَيُقْلِعُوا عَنْ أَخْلَاقِ السَّفَلَةِ الْأَشْرَارِ وَبِأَمْنِ
أَهْلُ الْوَرَعِ وَالسَّلَامَةِ خَوْفَ عُقُوبَتِهِ وَيُوَطِّنُ أَهْلُ
الرِّيبَةِ وَالدَّعَارَةِ أَنْفُسَهُمْ عَلَى حُلُولِ نِقْمَتِهِ ۞ وَقَدْ
قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَآءِ انْقِيَادُ الْأَخْيَارِ بِحُسْنِ الرَّغْبَةِ
وَانْقِيَادُ الْأَشْرَارِ بِطُولِ الرَّهْبَةِ ۞ قَالَ الشَّاعِرُ

إِذَا كُنْتُمْ لِلنَّاسِ فِي الْأَرْضِ سَادَةً ۞ فَسُوسُوا أَكَارِمَ النَّاسِ بِالْحِلْمِ

۞ وَالْبَذْلِ ۞

۞ وَسُوسُوا لِئَامَ النَّاسِ بِالْبَذْلِ وَحُثُّوهُمْ جَمِيعًا فَإِنَّ الْبَذْلَ أَصْلَحُ
۞ لِلنَّذْلِ ۞

وَيُرَاعِي أَهْلَ النُّسْكِ وَالصَّلَاحِ بِغَايَةِ الْإِعْظَامِ وَيَعُمُّهُمْ
بِأَجْزَلِ الْإِكْرَامِ وَيَتَقَرَّبُ إِلَيْهِمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى
فِي خَلْقِهِ وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِي أَدَآءِ حَقِّهِ لِيَكُونُوا لِفِعْلِهِ
حَامِدِينَ وَإِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالدُّعَآءِ لَهُ مُبْتَهِلِينَ فَلَنْ
يَعْدَمَ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِجَابَةَ دُعَآئِهِمْ فَأَمَّا الْعِلْمُ
فَيَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَعْرِفَ فَضْلَهُ وَيَسْتَنْبِطَ أَهْلَهُ
لِيَكُونَ بِالْعِلْمِ مَوْسُومًا وَإِلَيْهِ مَنْسُوبًا فَإِنَّ
الْإِنْسَانَ مَوْسُومٌ بِسِيمَا مَنْ قَارَبَهُ وَمَنْسُوبٌ
إِلَيْهِ أَفَاعِيلُ مَنْ صَاحَبَهُ وَكَذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ

صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله وقال
المرء مع من أحب وقالت الحكماء يظن بالمرء ما
يظن بقرينه وقد تحترس الملوك من هذا بما يباينون
به من سواهم لخفاء أحوالهم عن الرعية فيقضون عليهم
بما قد عرفوه من أحوال بطانتهم فإن استبطنوا العلم
قضوا عليهم بالعلم وإن استبطنوا الجهال قضوا
عليهم بما عرفوه من أحوال بطانتهم الجهال وإن علموا
ما ينتشر من الفساد العظيم باهمال العلماء وترك
مراعاتهم وذلك انه ربما بعث بعضهم قلة المادة
وضعف الحال على مسامحة النفس في التبذل وارتكاب
الشبه في التكسب فإذا وافق ذلك إعراض السلطان

قدم

عنهم

عنهم فجعت آثارهم عند العامة وتقاصرت رتبتهم
عند الخاصة فهجروا هجر الأعداء وزجروا
زجر السفهاء ثم سرى ذلك في خواصهم ومتوسطهم
وعم في جنسهم ومتدينهم فذهبت بهجة العلم وهاؤه
وقل طلابه وعلماؤه وصار ذريعة إلى اقتراضه
ودراسته ثم لا يبعد أن يظهر أهل نحل مبتدعة
ومذاهب مخترعة يروقون كلاما مموها ويزخرفون
مذهبا مشوها يخلبون به قلوب الأغمار ويعتضدون
على نصرته بالسفلة الأشرار فيصب الناس إليهم
وينعطفوا عليهم بخلابة كلامهم وحسن الطافهم مع
ان لكل لذة ولكل مستحدث صبوة وقال

جديد

النبي صلى الله عليه وسلم إن أخوف ما أخاف على أمتي
منافق عليم اللسان فتصير حينئذ البدع فاشية
ومذاهب الحق واهيه ثم يفضي بهم الامر الى التحزب
والعصبية فإذا رأوا كثرة جمعهم وقوة شوكتهم
داخلتهم عزة القوة ونخوة الكثرة فنضا فرحهال
نساكهم وفسقه علمائهم بالميل على مخالفيهم
فإذا استتب لهم ذلك زاحموا السلطان في رياسته
وقمحوا عند العامة جميل سيرته فربما انفتق ما لا
يرتتق فان كبار الامور تبدو اصغارا وقد
قال النبي صلى الله عليه وسلم أهلك أمتي رجلان
عالم فاجر وجاهل متعبد وسئل عن شرار الاشرار

فقال شرار العلماء وقال أمير المؤمنين علي
عليه السلم قصم ظهري رجلان ناسك جاهل يدعو الى
جهله بنسكه وعالم فاسق يدعو الى فسقه بعلمه
وهذا أمر يجب على الملك مراعاته لما فيه من حراسة
الدين وحفظ المملكة وحسم ذلك أن يراعي العلم وأهله
ويصرف اليهم حظا من عنايته ويعتمد أهل الكفاية
منهم بالتقريب والصيانة وأهل الحاجة منهم بالرفد
والاعانة ففي ذلك بقاء الملك واعزاز الدين
وقد قيل ان من اجلال الشريعة اجلال
أهل الشريعة ولكن المعروف من شيمه والمألوف
من اخلاقه انه يكافي المحسن باحسانه ليألف الناس

الإحسان رغبة في إحسانه من غير أن يجعل الجازية
حدًا أو لصلته قدرًا فإن ذلك أبسط للأمل فيه
ولا يعرف منه في المسيء شيمة ما لوفه لا في عفو ولا
في عقوبة لأن المسيء إذا عرف منه العفو اجترى
وإن عرف منه العقوبة قنط وإن لم يعرف منه واحدًا
منهما كان على رجاء من عفوه وخوف من عقوبته
فكان ذلك أبلغ في تأديبه ومصلحته فإن رآه أهلا
للعفو عفا عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم
عفو الملوك بقاء الملك وإن رآه للعقوبة مستحقا
عاقبه أدبا له لا غضبا عليه فقد قال
انوشروان إني بلغت لهذه الرتبة بثمان خصال

وذلك أني لم أهزل في أمر ولا نهي قط ولا أخلف
في وعد ولا وعيد قط ووليت الغني لا للهوى
وعاقبت للأدب لا للغضب وأودعت قلوب
الرعية شدة المحبة من غير جبن وقوة الهيبة
من غير ضغينة وعممت بالقوت وحذفت الفضول
وهذه أصح سيرة سار بها ملك في سياسة
ملكه وحراسة دولته قال الشاعر

تعفوا الملوك عن العظيم من الذنوب لفضلها
ولقد تعاقب في اليسير وليس ذاك لجهلها
الا ليعرف فضلها ويخاف شدة نكلها
وليعلم أن القبح في الظلم بقدر الحسن في العدل والزهد

فى ولاية الظالم بقدر الرغبة فى ولاية العادل فينبغى
للملك أن يختار لنفسه الرغبة فى ايامه بتسليط
العدل على ملكه والاحسان الى رعيته فانه ان قدر
على ملكة أجسادهم بسلطانه فليس يقدر على ملكة قلوبهم
الا باحسانه وقد قيل من جمع المال لنفع غيره
اطاعوه ومن جمع المال لنفع نفسه أضاعوه
وقد قال بعض الحكماء من خاف اسآتك اعتقد مساءتك
فان فتش عن سرايرهم مع استقامة ظواهرهم وأراد
أن يواخذهم بما يخفونه من ضمايرهم فقد كلف نفسه
همّا قد كفيه واستفسد من يطيعه ويتقيه
وعدل عما يستصلح به السرايرمن الاحسان الى ما

يستفسد به الظواهر من المكاشفة وحكى
الترمذى رحمه الله ان كسرى نوشروان دفع اليه رجل
من اصحابه ان فى بطانة الملك جماعة قد فسدت
نياتهم وخبثت ضمايرهم وقد هموا بما لم يفعلوا وهم غير
مأمونين على الملك فوقع أنا املك الاجساد لا
النيات وأحكم بالعدل لا بالرضا وأفحص عن
الاعمال لا عن السرايرولكن من دابه فعل الخيرات
اما ابتدأ من نفسه أو اقتدأ بالاخيار من سلفه
وقد قيل الناس فى الخير أربعة منهم من يفعله
ابتدأ ومنهم من يفعله اقتدأ ومنهم من يتركه حرمانا
ومنهم من يتركه استحسانا فمن يفعله ابتدأ فهو كريم

ومن يفعله اقتداءً فهو حليم ومن يتركه حرمانًا
فهو شقي ومن يتركه استحسانًا فمورد ي ولكن
ما يخلفه من جميل الذكر وحسن السيرة إمامًا
يقتدي به الأخيار ومثالًا يزدجر به الأشرار
فان ذلك أربح بضايعه يوم معاده وأنفع ما يخلفه
لمن اقتدى به فان الله تعالى ولي توفيقه
وكفيل معونته وتأييده

تم كتاب درر السلوك

بحمد الله ومنه وقوته وعونه

وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله الطاهرين وصحبه وسلم

كتاب اساس السياسة اللايقة بذوى الرياسة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المفرد تدبير ملكه * الغني عن الشريك
في شيء من أمره فلا ينازعه أحد في ملكه * وصلى الله
على نبيه سيدنا محمد الذي اتعته داعيا من القول إلى
صدقه وناهيا عن إفكه * وآمرا باعتماد الصواب
وزاجرا عن تركه * وعلى آله وصحبه المجاهدين في
سبيله من حاد بكفره وشركه * وعند عن طاعته
بقايد ظنه وشكه * وسلم تسليما *

أما بعد فانه وقعت إلي كلمات لبعض ملوك
الفرس تضمن جملا من السياسات الملوكية
والآداب الحكمية * سأله عنها بعض الملوك

المجاور

المجاورين لبلاده * المواد عين له مودعة
من قادته المهابة إلى انقياده * وضمن له
أنه متى أطلعه عليها أن يستزل على حكمه *
ويودي إليه الجزية عن نفسه * وعن أهل
مملكته على رعمهم ورغمه * فقال له في
سؤاله ما السبب الذي به استقام لك الملك
واعتدل * وانتظم به أمر دولتك حتى ظهرت
على من ناوبها من الدول * فقال إني عملت على
سبع خصال * فأي الأمر في اعتمادها إلى
أحسن مآل * وهي أني لا أهزل في أمر ولا نهي
قط * ولم أخلف وعدا ولا وعيدا * وعاقبت

لِلذَّنْبِ لَا لِلْعَضَبِ ❁ وَوَلَّيْتُ لِلْغَنَاءِ لَا لِلْهَوَى
وَأَوْدَعْتُ قُلُوبَ الرَّعِيَّةِ الْمَحَبَّةَ مِنْ غَيْرِ جُرَاءَةٍ ❁
وَشِدَّةَ الرَّهْبَةِ مِنْ غَيْرِ ضَغِينَةٍ ❁ وَعَمَمْتُ بِالْقُوتِ
وَمَنَعْتُ زَايِدَ الْفُصُولِ ❁ وَقَابَلْتُ ضَعِيفَ الْأَعْدَاءِ
مُقَابَلَةَ قَوِيِّهَا ❁ فَلَمَّا تَأَمَّلْتُ هَذِهِ الْأَلْفَاظَ
رَأَيْتُهَا قَدْ أُودِعَتْ مِنْ حِكَمِ السِّيَاسَةِ مَا قَضَى لَهَا ❁
بِالْحِكْمَةِ وَفَصْلِ الْخِطَابِ ❁ وَحَكَمَ لَهَا بِالِاشْتِمَالِ
عَلَى مَحَاسِنِ السِّيَاسَاتِ وَغَرَايِبِ الْآدَابِ ❁ إِلَّا أَنَّهَا
مِنَ الْجَزَالَةِ عَلَى حَدٍّ تَنْبُو عَنْهُ أَكْثَرُ الْعُقُولِ ❁ وَمِنَ
الْإِيجَازِ فِي غَايَةٍ يَعِزُّ عَلَى أَكْثَرِ الْأَذْهَانِ إِلَى أَوَايِلِهَا
الْوُصُولُ ❁ وَعَلِمْتُ أَنَّ الْمُلُوكَ هُمُ الَّذِينَ يَجِبُ أَنْ يَكُونُوا

بِهَا

بِهَا أَعَمَّ انْتِفَاعًا ❁ وَلِمَحَاسِنِ آدَابِهَا أَكْثَرَ اتِّبَاعًا ❁
إِلَّا أَنَّ خَوَاطِرَهُمْ بِكَثْرَةِ الْأَشْغَالِ مَغْمُورَةٌ ❁ وَأَوْقَاتَهُمْ
بِعَوَارِضِ الْأَحْوَالِ مَعْمُورَةٌ ❁ وَقُلُوبَهُمْ إِلَى مَا يُرَوِّحُهَا
مِنَ الْفُكَاهَاتِ مُتَلَفِّتَةٌ ❁ وَنُفُوسَهُمْ إِلَى مَا يُبْعِثُ
نَشَاطَهَا مِنْ كُلِّ الْأَعْمَالِ مُتَوَثِّبَةٌ مُتَفَلِّتَةٌ ❁ فَرَأَيْتُ
أَنْ أُمَهِّدَ مَعَانِيَ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ وَأَبْسُطَهَا ❁
وَأُقَرِّبَهَا إِلَى الْأَفْهَامِ تَقْرِيبًا لَا يَعِزُّ عَلَيْهَا مَعَهُ
أَنْ تُقَيِّدَهَا وَتَضْبِطَهَا ❁ وَأَكْسُوَهَا مِنَ الْقَوْلِ حُلَّةً
تَجْلُو بَدَايِعَ مَحَاسِنِهَا ❁ وَأَصُوغَ لَهَا مِنَ اللَّفْظِ حِلْيَةً
تَجْلُو بِعَيْنَيْ قَلْبِ مَعَايِبَهَا ❁ وَأُجْلُوَهَا مِنَ الْمَعَارِضِ
فِي أَحْسَنِهَا سَوَالِفَ وَعَوَارِضَ ❁ وَأُخَيِّرَ لَهَا مِنَ الْأَسَالِيبِ

مَا يُسَلِّمُ لِحُسْنِ الاِخْتِيَارِ فِيهِ الْمَنَاقِضُ وَالْمُعَارِضُ
وَفَكَّرْتُ فَلَمْ أَجِدْ أَوْفَقَ مِنْ سَبْكِهَا فِي قَوَالِيبِ الْأَسْمَارِ
وَإِيدَاعِهَا بَوَاطِنَ الْإِخْبَارِ عَنْ قَدِيمَاتِ الْأَخْبَارِ فَإِنَّ أَكْثَرَ
النُّفُوسِ إِلَى سَمَاعِ الْقِصَصِ الْبَعِيدَةِ مَائِلَةٌ وَعَنْهَا فِي
أَكْثَرِ الْأَوْقَاتِ بَاحِثَةٌ وَعَنْ غَرَائِبِهَا سَائِلَةٌ لَاسِيَّمَا
أَخْبَارُ الْمُلُوكِ مَعَ حَوَارِيِّهِمْ وَحَظَايَاهُمْ وَفُنُونِ
أَحْوَالِهِمْ مَعَهُمْ وَصُنُوفِ قَضَايَاهُمْ فَإِنَّ نُفُوسَ
الْمُلُوكِ إِلَيْهَا أَكْثَرُ تَطَلُّعًا وَأَسْمَاعَهُمْ إِلَى أَخْبَارِهَا
أَشَدُّ إِصْغَاءً وَتَسَمُّعًا وَاخْتَرْتُ لَهَا هَذَا الْأُسْلُوبَ
مِنْ بَيْنِ الْأَسَالِيبِ وَأَدْرَجْتُهَا ضِمْنَ قِصَّةٍ جَرَتْ لِبَعْضِ
الْمُلُوكِ مَعَ بَعْضِ حَظَايَاهُ فِيمَا دَارَ بَيْنَهُمَا مِنَ الْأَعَاجِيبِ

وَسَلَكْتُ

وَسَلَكْتُ فِي ذَلِكَ مَسْلَكَ مَنْ تَقَدَّمَنِي مِمَّنْ قَصَدَ التَّأْدِيبَ
لَا الْأُكَاذِيبَ وَوَضَعَ الْأَمْثَالَ الْحِكْمِيَّةَ عَلَى أَلْسُنِ
الْعَجْمَاوَاتِ كَالدِّيبِ مَعَ الثَّعْلَبِ وَالْأَسَدِ مَعَ الذِّئْبِ
وَاللَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ خَالِصَ النِّيَّةِ فِيهَا وَالسَّبَبُ
الْبَاعِثُ عَلَى مَعَانِيهَا ثُمَّ وَصَلْتُهَا بِفُصُولٍ سَبْعَةٍ
فِي السِّيَاسَةِ أَيْضًا لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ مَنْسُوجَةٍ عَلَى مِنْوَالِهَا
مَسْحُوبَةِ الْخَبَرِ عَلَى مَسَاحِبِ أَذْيَالِهَا جَارِيَةٍ فِي
شَرْحِ الْجُمَلِ مَجْرَاهَا سَارِيَةٍ فِي إِصْلَاحِ الْمَنْطِقِ
وَتَفْسِيرِ الْمُجْمَلِ مَسْرَاهَا وَفُصُولٍ فِي الْمَقَاصِدِ
وَالْوَصَايَا مَوْصُولَةٍ بِهَا صِلَةَ الدِّيَ وَأَخَوَاتِهَا
بِالصِّلَاتِ وَالْعَوَائِدِ مَضْمُومَةِ الْفَوَائِدِ مِنْهَا إِلَى

الفوايد ❁ ضمّ الاوسحه لترايب النّواهد ❁
وكتب عند الفراغ من تحريرها ❁ قبلوع
المقصود من تنقيحها وتحبيرها ❁ قد عرضتها
بالمجلس العالي الأجلي القضايي الفاضلي لازال
فضله محسودًا ❁ وابرح خلل الاخوان بمن نظره
مسدودًا ❁ وهو المجلس الذي يتميّز به الخبيث
من الطيّب ❁ ولا يزكوا عنده الّا ما جاده من
الصّواب صوب صيّب ❁ فاستصوب مقصدها
واستعذب موردها ❁ واستجاد معزاها ❁
واستسدّ مرماها ❁ ورسم أعلا الله امره بأن
توسم بأساس السّياسه ❁ اللّايقه بذي الرّياسه ❁

تشريفا لي بالرّفع بذلك من قدري ❁ واستدامة لعادته
الحسنى في تحسين أمري ❁ واظهار جميل رأيه الذّي
مازلت اعتده ظهيرًا على نوايب دهري ❁ فامتثلت
أمر العالي تيمنا ببركاته ❁ وتلقيا للنجح باقتفاء
مراسيمه من جميع جهاته ❁ ولما كان محلّ هذه
الرّساله من الحدّ على ما اشتملت عليه من الفكاهه محلّ
النّصيحة الرّقيقه ❁ ومقصدها في الحقّ على ما انطوى
في افنانها من الدّعابه من أشرف المقاصد الصّحيحه على
الحقيقه ❁ وكان النّصح في الدّين من اوكد الواجبات
فرضا ❁ والقيام به من انفس ما تقدّمه المدّخر عند الله قربا
كان احقّ من وفّقت اليه عقايل النّصايح ❁ واولى من

نبّه بالكلم الطيّب على العمل الصالح ❁ من كانت
بضايع الخير عنده نافقه ❁ وسريرته في الرعاية
لحقوق الله سبحانه لعلانيته موافقه ❁ وعزيمته
في القيام بأوامر الله صحيحة صادقه ❁ وهمّته في
اقتناص شوارد المعالي والمآثر متقدّمة سابقه ❁
مولانا السيّد الأجلّ العالم السلطان العادل
المجاهد المرابط الملك العزيز أعزّ الله تعالى نصره ❁
واسعد به عصره ❁ وعمّر بقاياه ممالكه وخصّ من بنيها
مصره ❁ فانه من الملوك الذي سعدت به من الملوك
رعيّته ❁ وطويت على النصح لها والشفقة عليها
طويّته ❁ وحبّبت اليه العدل والإنصاف ❁

ووزد

ووزد من مناهل حسن السياسة كل نمير صاف ❁
واحله الله من شريف المناقب وكريم المذاهب شرفا
رفيعا ❁ وجمع لأيّامه المحامد والمحاسن جميعا ❁
فمهّد للامّة من بره ولفظه كفّا وسيعا ❁ وانالهم
من عرفه وعطفه ما ارعاهم روض الأماني مريّا
مريعا ولم يلمه أن كان ملكا مطاعا أن يكون لمالكه عبدا
مطيعا ❁ فالفضايل في دولته مطلعة رؤوسها ❁
والآداب طالعة اقمارها وشموسها ❁ والآمال
المستطلة لا تناجي بسوى قصد مكارمه نفوسها ❁
والقايلون في ظلّ عزّ سلطانه عن الحوادث مبعدون
لا يسمعون حسيسها ❁ ووجب على شمله عدله

من

ولم يقعد به أمله عن ان يكون ممن نال له فضله
وكان قد أوتي من البيان فضلا ومنح من معروف
اللسان حظا صار به للقلوب أهلا ان يخدم
مقامه الرفيع المعظم ومحله السامي الذي ما
زالت القوافي الغر تعقد بمدايحه وتنظم ويمضي
مما تبلغه قدرته من ذلك بالغايات الشريفه
وتتقرب اليه بما ينتهي اليه قوته منه بالتحف الظريفه
اللطيفه رأى مملوك ايامه ان يتوجها من عالي
اسمه بالتاج الاغر الارفع ويسمها من النسبه
الى خدمته بالسمه التي تحلها من الشرف ذروه لا
تسامى ولا تضعضع ويحفها الى بذل كرمه قربانا

يستفر لها في القبول حسن التاميل ويشفع وهو
يرجو ان تصادف من نظر مولانا بعين الرضى اليها
ما يزلفها لديه ويحظيها ويغطي على معايبها ومساويها
ان شاء الله عز وجل وهذا حين الابتدا بما قصد
اليه والله سبحانه حسب من توكل عليه

بسم الله الرحمن الرحيم ربنا اتمم لنا نورنا

حكى انه كان فيما خلا من الازمنة السوالف
ملك من بعض ملوك الطوايف قد أعطته الايام لين
قيادها • وأمطته وثير مهادها • وصالحت
الاقدار همته على بلوغ مرادها • وامدته بمساعفها
واسعادها بغرايب امدادها • فاستطال بسعة
ملكه واستعلى • واستوى على عرش التجبر واستولى
وقهر العباد بالتعظم فكاد يقول انا ربكم الاعلى •
ودخل في طاعته ارباب الاكاليل والتيجان •
وخضع له من كان يجاوره من الملوك ودان •
وقذف له المهابة الرعب في القلوب ففرق من سطوته

كل قاض ودان • وكان مع ذلك قد حرم الولد
وقصر به عن بلوغ هذا الغرض وقعد • فكان
يود بكل جهده • أن يرزق ولدا يقوم بالملك من
بعده • ويحيي به ذكره اذا أودع ميتا في لحده
ويبذل للحكماء على ذلك سني المواهب • ويعدهم عليه
من الرغائب الغرايب • الى ان قنع من ذلك بادنى
النجاحين • واضحى رجاؤه وهو من هذا الامل
محصور الجناحين • فاراد يوما ان يسخر من
حظاياه • ويسلك معهن من المجون في سبيل
سارت به من الفكر فيه مطاياه • فواعدهن
في يوم الحضور باجمعهن • في موضع من قصره

عيّنه لهنّ ۞ وان يكن على افضل هيئةٍ ۞ وتكمل
وأكمل زينةٍ تروق العين عند المتأمّل ۞ وعوّلهنّ
على ذلك من الكرامة ما بعثهنّ على الاجتهاد ۞
وبمنعهنّ فيما اراده منهنّ من الاقتصار والاقتصاد ۞
وتواعد من قصرت منهنّ في زينتها او زيّها ۞ او
تأخّرت عن الحضور معتلّة بشيء من جلي الاعذار
او خفيّها ۞ باليسم الايعاد والاقضاء ۞ والمبالغه
في العقوبه والاستيفاء ۞ واوقع في خواطرهنّ
بالتلويح لا بالتصريح ان ارباب العلوم ۞ واولى
الخبرة باحكام النجوم ۞ قد تخيّروا له ذلك اليوم
وانه ان واقع فيه علق منه بنسلٍ كريم ۞ وولد

له ولد بعد ما خلا دهره وهو عقيم ۞ فاستعدّت
كلّ واحدةٍ منهنّ لذلك بفاخر ما لديها ۞ وتهيّأت
باكمل زينةٍ وصلت قدرتها اليها ۞ وبرزن
باجمعهنّ ۞ وقد فصّل الملابس بباهر حسنهنّ ۞
وازيّن بالحلي والمحلل بما بدا من تبتلهنّ ودلهنّ ۞
سهابجا لهنّ مرحا واختالا ۞ وتزيد نضرتهنّ
على جوهر الحلي جوهريّة وصقالا ۞
لبس الوشي لا بتحمّلٍ ۞ ولكن يضرّ به الجمالا ۞
وظفرن الغداير الحسن ۞ ولكن خفين في الشعر الضلالا ۞
فلمّا حضر لميقات الملك وموعده ۞ ومثلن بمحضره
ومشهده ۞ اظهر لهنّ ابطنه من الاستهزاء بهنّ

والتلعاب وقال لقد عمني تعب كل
منكن بهيئة ما تحت الثياب
حتى أتت بجرابها تكال فيه فراحت وهي فارغة الجراب
فقضا حكمن على ذلك فيما منهن خجلا وتمازحن على
ما كان منهن من العناء الفارغ حتى سمعت لهن صوانهن
رجلا وقلن له بلفظ واحد لا لمنا فإنا ظنناك رجلا
فقصر به في رد الجواب وانقطع واصفر لونه حياء
وامتقع وكانت واحدة منهن قد تأخرت عن الحضور
وأقدمت على الإخلال بهذا المأمور فلم ينكر عليها
مخالفة الأمر ولا أخذت من تحقيق الوعيد بما يقتضيه
حكمة الزجر فخلا بالملك احداهن وكانت

وصيفة حصيفة وأديبة أريبة قد رزقت في أصل
الفطرة ذهنا ثاقبا واوتيت من الرأي سهما صائبا
فقالت له اني أخشى ايها الملك ان يكون هذا
الخلق منك طبعا وهذا الفعل سجية فيجلب
اليك ضررا ويصد عنك نفعا فتفعل في عبيد
مملكتك ورعايا دولتك ما فعلت مع خطايا ك
فيكون ذلك سببا لزوال ملكك وبوارك وسبيلا
الى انهدام مجدك ودمارك فقال لها فكيف
ذلك قالت ان من عادة الملوك الفضلا
ودوي السلطنة النبلا ان لا يهزلوا في أمر ولا
نهي كما هزلت معنا ولا يلعبوا بذلك كما لعبت به

وبنا ۞ فان ذلك يحط من اقدار الملوك عند رعاياهم
ويطرق التهاون الى امتثال اوامرهم وقضاياهم ۞
لان المامور او المنهي ربما حمل ذلك في وقت الجد
على عادة الهزل ۞ فوقع بذلك الخلل الذي لا
يستدرك الرأي الجزل ۞ ثم انك ايها الملك تواعد
من تخلفت منا بويبل النكال ۞ ووعدت من
بادرت بجزيل النوال ۞ فلا انت وفيت للمحسن
الجزا بموعوده ۞ ولا انت الحقت بالمسي ما تواعده
به من العقاب على اساته في مقصوده ۞ والملوك
اذا لم يحققوا الوعد والوعيد سقط من القلوب
وقع هيبتهم ۞ ولم تسكن النفوس عند الاحسان

الى

الى الحسن مثوبتهم ۞ ولم تخف عند الاساة من سوء عقوبتهم ۞
بل من عادة الملوك الافاضل ان لا يخلفوا وعدا ولا
وعيدا ۞ ولا يالوا في ذلك تغليظا ولا تشديدا ۞
فاعجب الملك ذلك من كلامها واستحسنه ۞ وتدبره
بصافي فكره وتبينه ۞ فعلم انه القول الصدق ۞
وتحقق انه الراي الحق ۞ واستزجها واستنصحها
وقلدها وحكمها ۞ وفوض اليها النظر في امر قصره
ومن فيه ۞ واطلق يد تصرفها في خزاين ملكه وما
تحويه ۞ وقد كان قبل ذلك مايلا الى غيرها كلفا
بحبها مشغول القلب بها ۞ لما كانت تظهره له من
كلفها به واشتغال قلبها ۞ فلما بلغها تقديم الملك

لهذه التي قدمها ❁ وتيقنت انها أول من علمه ولاها
وحكمها ❁ أنفت من الدخول تحت رايتها ❁ وعز
عليها أن تكون رعية لمن كانت تجري عليه أحكام
رعايتها ❁ فازورت عن الملك ونأت بجانبها ❁
واعرضت عن حسن عادتها معه في الخلوة وجميل مذاهبها
فساءه ما رأى من انقباضها ❁ وكبر عليه ما بدا من
تجنبها واعراضها ❁ ولم تسمح نفسه بفراقها ❁ ولا قدر
على معاصاة بواعث اشواقها ❁ فاستعطفها
واسترضاها ❁ وسرها بجميع محابها وارضاها ❁
واعادها الى محل تكرمتها ❁ وردها الى كرسي تقدمتها
فلما بلغ تلك الخطية العاقلة ما فعله الملك مع

ضرتها ❁ واخراجه لها من حكم اقضيتها ❁ قامت
حتى دخلت عليه وقالت لاشك انه قد ثبت عند الملك
اني أوفى من فلانة عقلا ❁ وأوفر كمالا وفضلا ❁
قال انه لكذالك ❁ فما هذا الذي قد بدا لك ❁
قالت فلم صرفتني عما كنت وليتني ❁ وارتجعت مني
ما كنت أوليتني ❁ ونسيت لي طول انتصابي في خدمتك
ودأبي ❁ وافراط تعبي في طاعتك ونصبي ❁
ومكابدتي في القيام بما فوضته الي لظمأي وجوعي ❁
ومواصلتي لسهري وهجري لهجوعي ثم بعد ذلك
تبدلت بي من ليس يحنو اضلوعه على مثل ما تحنو عليه
ضلوعي ❁ وليس ذلك لعدم كفايتي ووجود غنائها ❁

بل الملك اليها وطاعتك لهواها ۞ فإن كان هذا
فعلك في أمر مملكتك في توليه من تولّيه من الولاه
للهوى والعنايه ۞ لا لفضيلتي الأمانه والكفايه ۞
فأخلق بملكك أن يزري ۞ وهو مقصوم العرى ۞
ويعرّك الفسيخ الذري ان تكون منه منسوذا بالعرا ۞
وانما يجب على الملك أن يعتمد من ولاته على كفايته ۞
ومن جبايته على ثقاته ۞ ومن قضاته على هداته
ومن وزرايه على من يقترن الصواب بارايه ۞
واذ قد ملت ايها الملك الى هذه ولم تقدر على أن
تكون من رقّ هواها حرّا ۞ ولا استطعت على مخالفته
صبرا ۞ ولا على ان تعصي له أمرا ۞ فاقصر بها

على المحبة القاصر ولا تجعل لها حكما متعديا ۞
فيكون ذلك الى الاختلال والفساد مؤديا ۞ فان
الجاهل يأتي بسوء تدبيره ۞ ما يكون فيه ضرر نفسه
وضرر غيره ۞ وهو يظن انه قد اخذ بمجامع
الصواب ۞ وأتى الفلاح من كل باب ۞
وفي العواقب تظهر له آثار فعله ۞ وفي
الأواخر تبدو له ما استتر عنه في الأوايل من
جهله **وقد قيل**

۞ فلا تصحب أخا الجهل وايّاك وايّاه ۞
۞ فكم من جاهل أردى حليما حين آخاه ۞
۞ يقاس المرء بالمرء اذا ما هو ماشاه ۞

وللشيء من السّي مقاييس واشباه
فلم تثنه لهذه المواعظ في نقد منها عن غيه
ولا ردّته هذه النصايح عن استدامة رياستها
ولا قدرت على لبسه بل أصرّ على ما زيّنت له في
امرها النفس الامّاره واستمرّ على طاعتها معرضًا
عمّا يشير به العقل من مصالح الولاية والإماره
واقامت هذه الخطبة على ملازمة التنبيه له
في كل وقت برقيق لفظها ودوامت على مواظبة
التذكير له والتحذير برقيق وعظها فلما اكثرت
عليه غضب غضبًا شديدًا وهمّ بأن يرهقها
من عذابه صعودًا فلم يرعها ذلك ولا اقرّ

ولا صدّها عن النصيحة التي قرأنار العقل لها طرفها
بل قالت له ايها الملك ان الافاضل من الملوك انما يعاقبون
للذنب لا للغضب واذا عاقبوا لم يتجاوزوا بالمجرم
حدّ الأدب وانّي لم أت جرمًا ولا اقرفت ذنبًا
ولا قلت ما قلته الا نصيحة لك ايها الملك وحبًا
ومن لم يكظم غيظه ندم وقلّ من صبر على حرارة
جمرة الغضب في اوايلها الا نجا من احراقها المهلك
وسلم ولم يزل الغضب ابدًا حاملًا على العار والفضيحه
ومغطيًا على الفكرة السليمة والرويّة الصحيحه
وهانا اذكر لك بعض آثاره الشنيعة القبيحه
واضرب لك مثلًا فان الامثال رياض العقول الفسيحه

ذكر ان بعض البخلاء اشتهى دجاجة فابقه على صفة
مخصوصة فلم يزل ينازع نفسه ويكثر عذلها ونصحها
ويروضها بانواع حيل الرياضات حتى اجابت الى ذلك ووفيت
شحها فعمل له على الصفة التي اثرها وقدمت
اليه وقد حضر وقت الصلاة فقام اليها وبادرها وقدم
الى خادم امين كان له بان يحرسها الى حين فراغه
ويحفظها ويوكل بها ناظره فلا يصرفه عن ان يراقبها
ويلحظها وانفق حضور عظيم من القطاط فتماوقح
منها من شدة الجلقة وفرط السبعية في جانب الافراط
فاختطف الدجاجة بسرعة اعجزت الخادم عن لحاقه
واستبقا الباب فسد الخادم بسيقه لشدة حرصه على

السرعة

السرعة في اباقه وتبعه الخادم مسرعا فتعلق بالعالي
الجدران ومر كالشهاب الثاقب حتى تجاوز اسطحة
آدر الجيران وفرغ الخيل من صلاته وقد
علم بالامر بعد فواته فامتلأ على الخادم غيظا
وحنقا وجرد سيفا كان يدخره للمهمات فخرفه
به فقتله وصادف في ممره حجرا افطار الجودة فؤاده
شقها فعدم المسكين السيف الثمين والخادم الناصح
الامين وفارق في جميع ذلك العقل والدين
ولم يكن هناك سبب الا اجابته لداعي حنقه وغضبه
وقلة حاصله من الرياضة حتى تمكن منه كلب غيظه بشاته
كلبه والحديث شجون وربّ جدّ جرّ مجون

يحكى ان الشيخ ابا الفضل بن الجوهري الواعظ
بمصر رحمه الله وكان من اعيان اهل الصلاح
وممن اذا ارتجت في وجه الدعاء ابواب الاجابة كان دعاه
لهو المفتاح كانت عنده هرة مودبة لم تعود
قط العبث بشيء من الطعام ولا عرفت مذ عرفت
بخطف ولا اصطلام فلما كان في بعض الايام قدمت
الى الشيخ دجاجة في جملة ما كان وقع به الاهتمام
فبينا هو في اثناء الاكل مع الجماعة اذ وثبت القطة
فاختطفت الدجاجة من بين يديه ومرت كالسهم
لا تلوي على صارخ ولا تعرج عليه فامر الشيخ
بعض اصحابه بالكشف عن حالتها والبحث عن السبب

الذي

الذي قضى لها مخالفة عادتها فكشف عنها فالفاها
قد ولدت وصارت كاسبة لغيرها فاوردتها
الضرورة حيث وردت فلما اعلم الشيخ بذلك
قال لا اله الا الله ذو الجلال والاكرام لثرث
عايلتها المسكينة فاكلت الحرام وهذه اشارة
صوفية فيها تدبر لذوي العقول الوفية
ثم قالت تلك الخطية للملك فما يحملك الغضب ايها الملك
على ان تعجل فتجل وتقدم فتندم فسكن غضبه
وترضاها وعرف لها حق نصحها فقضاها حقها
من الشكر ووفاها ثم قالت له ايها الملك ان
الرئيس لا يجب ان يكون تاديبه بمقتضى الغضب بل بمقتضى

العقل ❁ وإن تثبت ريثما يتجلى عنه تلك الغمم فيكون
عمله حينئذ بموجب الإنصاف والعدل ❁ فقال لها
الملك أيتها القرينة الصالحة ❁ والمشيرة
الناصحة ❁ زيديني من فوايد النافعه ❁ التي
هي لمحاسن الآداب جامعه ❁ فلقد أخذت بمجامع قلبي
وملكت على ذهني ولبي ❁ قالت نعم أيها الملك
زادك الله للخير قبولا ❁ ولا زال سبب التوفيق
بسببك موصولا ❁ انه يجب على الملك الحازم أن
يودع قلوب الرعية المحبة من غير جراءة ❁ وشدة
الرهبة من غير ضغينة ❁ فقال لها الملك أني ذلك
وهل اليه من سبيل الا بشق على السالك قالت نعم

بايداع القلوب ودايع الاحسان ❁ والتحاذها
للزخاير لا يشق عليها خيانة الخزان فقد حكي
ان بعض الخلفاء قال يوما لحاجبه ارفع الي ناحوالك
فقد خففت حتى ثقلت ❁ وقللت حتى كثرت ❁
فقال والله ما أستنزر فضلك ❁ ولا أستصغر
برك ❁ ولا أستقصر عمرك ❁ ولا اغتنم
مالك ❁ وان عندي في تاميلي اياك الا أفضل من
يومي فيما قد نلته من سعة فضلك ❁ ولكن هذا
عبدك ولدي فلان أوثر أن تقربه وتحبوه وتخبه
فقال أما الحياء والتقريب فقد وجد السبيل اليهما
واما المحبة فليست بمال يوهب ولا بمزية تنال

وانما توجهها أسباب وتوكدها أحوال فقال
اجعل له الى ذلك طريقا بالتفضل عليه فانك اذا أحسنت
اليه احبك فاذا احبك أحببته ❁ فقال اما القرب
فقد اذنت لك في استنابته عنك في المحبة ❁ واما
الحياء فقد وصلته بكذا وكذا ولم اصل به احدا الا عموما
ولكن كيف سألته المحبة من بين سائر الامور وقرنتها
بالحياء والتقرب ❁ قال لانها مفتاح كل خير ومغلاق
كل شر ❁ تستتر بها عنك عيوبه ❁ وتصير لها حسنات
ذنوبه ❁ قال لها الملك ان ذلك يفتقر الى حس
تلطف في استدعاء هذا المطلوب ❁ ولطيف يوصل
في تحصيل مودات القلوب ❁ فهل تعرفين في ذلك

مثلا مضروبا ❁ وفعلا صار به صاحبه الى القلوب
موددا محبوبا ❁ قالت سأضرب لك في ذلك مثلا
يكون عليه قياسك ❁ وبأنواره في ظلم الشكوك
استبصارك ❁ وفي وحشتها استيناسك ❁
حكي انه اهدي الى بعض الملوك في يوم
نوروز هدايا جليلة ❁ وحمل اليه طرف
فاخرة بتيلة ❁ فتقدم الى جواريه ❁ ومن حضر
من سراريه ❁ بان تأخذ كل واحدة منهن من ذلك
ما حلى بقلبها ❁ وانصبت اليه ماده حبها ❁
فتناولت كل واحدة ما ارادت واربت على مقصود
الامر وزادت ❁ وبقيت منهن واحدة لم تسف

الى مطلوب ❁ ولا ظهر عليها أن شيأ من ذلك
باسره عندها محبوب ❁ فقال لها الملك مالي
اراك من موافقة صواحبك منقطعه ❁ وعن مشاركتهن
فيما افدته من هذه الطرايف الفاخره ممتنعه ❁
قالت ألست القايل ايها الملك لتاخذ كل منكن ما أحبت
قال بلى قالت فاني لا أحب سواك ❁ وليس لي هوى
الا هواك ❁ اقتادتني في اخذك والمصير بك الى
حجرتي ❁ فانك غاية سولي ومنيتي ❁ فوقع
كلامها في قلبه موقعا لطيفا ❁ وحل من خاطره
محلا شريفا ❁ فامر بحمل كل ما كان يريدها ❁
وقطع نوروزه منقطعا اليها ❁ قال الملك لقد

تلطف

تلطفت هذه الحظية فما أحظاها عند الملك
ومكنها ❁ وجملها في خاطره وزينها ❁ فريد من
ذلك ● قالت نعم أعز الله الملك حكي ❁
ان بعض الملوك كان ببعض حظاياه صبا ❁ والى
رضاها مايلا وفي هواها منصبا ❁ فحسدها
بقية رفقايها ❁ وتحيلن في إسقاطها من نفس
الملك والقايها ❁ فوجد عليها بعد وجده بها
ومال عنها بعد ميله اليها ❁ واتفق أن خرج الى
بعض متنزهاته ❁ ومواطن خلسه وراحته
ولم يستصحبها معه فمن استصحب ❁ ولا نظر
اليها الا بعين المحنق المغضب ❁ فشق ذلك عليها

وَعَظُم ❁ وَأَخَذَهَا مِنْهُ مَا حَدَثَ وَمَا قَدُمَ ❁ وَعَمِلَتْ
لَوْقْتِهَا اِيَاتًا تَرَقَّقُهُ فِيهَا وَتَلْطِفُهُ ❁ وَتَسْتَمِيلُهُ
اِلَى الْحُسْنِ عَادَاتُهُ مَعَهَا وَتَسْتَعْطِفُهُ ❁ وَهِيَ

● قَدْ كَانَ عَبْدُكَ مِرَّةً مَكْتُومًا فَالْيَوْمَ أَصْبَحَ ظَاهِرًا مَعْلُومًا ❁
● نَالَ الْأَعَادِي سُولَهُمْ وَمُنَاهُمْ لَمَّا رَأَوْنَا ظَاعِنًا وَمُقِيمًا ❁
● وَاللَّهِ لَوْ أَبْصَرْتَنِي لَرَحِمْتَنِي وَالدَّمْعُ مِنْهُ كَالْجُمَانِ سُجُومًا ❁
● هَبْنِي أَسَأْتُ فَعَادَةُ لَكَ أَنْ تُرَى يَا سَيِّدِي مُتَطَوِّلًا مَظْلُومًا ❁

ثُمَّ أَحْضَرَتْ بَعْضَ الْمُغَنِّيَاتِ اللَّاتِي مِنْ عَادَتِهِمْ حُضُورُ مَجَالِسِ
اُنْسِهِ ❁ وَأَلْقَتْهُ عَلَيْهِ وَأَمَرَتْهُ أَنْ يُغَنِّيَهُ بِهِ عِنْدَمَا
يَرَى السُّرُورَ قَدْ تَنَشَّطَ مِنْ نَفْسِهِ ❁ فَامْتَثَلَ أَمْرَهَا
بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ❁ وَتَوَخَّى لَهَا بِحُسْنِ الْاِرْتِيَادِ

تِلْكَ السَّاعَةَ ❁ فَلَمَّا غَنَّاهُ بِهِ هَامَ عِنْدَ سَمَاعِهِ طَرَبًا
وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي خَمْرِهِ بَدَايَعِهِ عَجَبًا ❁ ثُمَّ سَأَلَ عَنْ
اَيِّ عُذْرَتِهِ ❁ وَاَلِي مَنْ يُعْزَى صَحِيحُ نِسْبَتِهِ ❁
فَلَمَّا عَلِمَ بِالْغِصَّةِ قَامَ مِنْ فَوْرِهِ اِلَيْهَا ❁ وَاَلْقَى نَفْسَهُ
مُبَادِرًا عَلَيْهَا ❁ وَعَادَ بِهَا اِلَى اَحْسَنِ اَحْوَالِهَا عِنْدَهُ
وَاَعَادَ اِلَيْهَا مِنْ مَحَبَّتِهِ وَرِضَاهُ مَا كَانَ خَيْرًا لَهَا مِمَّا
بَعْدَهُ ❁ فَلْيَكُنِ الْمَلِكُ اَعَزَّهُ اللَّهُ عَلَى حَذَرٍ مِنْ حَالٍ
يَصِيرُ الْعَقْلُ فِيهَا بِمَثَابَةِ الْاَسِيرِ الْمَقْهُورِ ❁ وَيَعُودُ
ضِيَاءُ الْبَصِيرَةِ وَقَدْ غَشِيَهُ مِنَ الظُّلْمَةِ مَا سَلَبَهُ ضِيَاءَ
النُّورِ ❁ فَاِنَّ اَكْثَرَ الدَّخَايِلِ اِنَّمَا دَخَلَتْ عَلَى الْمُلُوكِ فِي
اَوْقَاتِ خَلَوَاتِهِمْ ❁ وَاَعْظَمَ الْاٰفَاتِ اِنَّمَا طَرَقَهُمْ فِي هٰذِهِ الْاَوْقَاتِ

التي كانوا فيها أسر أشهوتهم ❁ فعند ذلك يجد
الحاتك سبيلا الى استزلاله ❁ والمستشير بالرأي المودي
طريقا الى القاء ما زخرفه من باطل مقاله ❁ فيكون
كلامه المنمق في تلك الحال بمثابة العسل الممزوج بالسم
يستلذه ذايقه ❁ وتحلله عما قليل بوايقه
واما الناصح في الاشفاق فان كلامه بحري مجرى
الترياق ❁ فانه وان كان كريه المذاق ❁ فان متناوله
سريع الافراق ❁ قال الملك لقد اخبرتني عن هاتين
الحظيتين بما اعجبني ❁ واستخفني حتى اطربني ❁ فهل
تعرفين من تلطفات النساء ومكرهن ما قصدن به بلوغ
الغرض فعاد عليهن بنقيض قصدهن ❁ قالت نعم ايد

الله الملك حكي ان بعض المجانين كان يحضر مجلس
بعض السلاطين ليضحك من مجونه ❁ ويستطرف ما يدر
من الفاظه ونوادره في حال جنونه ❁ فخلع عليه الملك
يوما دواجا من ملابسه له قيمة جليله ❁ فمر على دار
بعض الفواجر فاراد اخذه منه بما ظنت انها قد
ابرمت من حيله ❁ فارسلت اليه جاريتها وقالت لها
قولي له هل لك في منزل بهي ❁ وطعام شهي
وكاس وديم ❁ ومقام كريم وريحان وجنة نعيم
فقال لها قد وصفت ما يحل عقد العزايم ❁ ويبعث
الهمم الرمايم ❁ وهل تستام بي في بلوغ امنيتها النفس
وأني يفر الكلب من ساحة العرس ❁ فلما دخل المجنون

رَاى مَا اسْتَقَرَّ فِى جَنْبِهِ الصِّفَه ۞ وَاسْتَقْبَلَتْهُ
سَيِّدَتُهَا كَالْبَانَةِ الْمُتَاوِّدَةِ الْمُنْعَطِفَه ۞ فَلَمَّا رَاتْهُ
كَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا ۞ وَحَلَّتْ لَهُ نِطَاقَيْهَا ۞ وَاَلْقَتْ ذَلِكَ
الدِّوَاجَ عَنْ ظَهْرِهِ ۞ وَاَمَرَتِ الْجَارِيَةَ بِتَغْيِيبِهِ
عَنْهُ وَسَتْرِهِ ۞ ثُمَّ جَعَلَتْ ثَغْرَهَا فَوْقَ ثَغْرِهِ ۞
وَصَدْرَهَا تَحْتَ صَدْرِهِ ۞ فَلَا تَسْئَلْ بَعْدَ ذَلِكَ عَمَّا كَانَ
مِنْ اَمْرِهَا وَاَمْرِهِ ۞ ثُمَّ اَخْلَاوَقَدْ نَالَ مَا اَنْسَاهُ دَوَاجَهُ
وَاَلْهَاهُ عَنْ نَفْسِهِ ۞ وَذَاقَ مِنْهَا مَا لَيْسَ يَقْلَعُهُ اَبُو
الْحُسَيْنِ الْقَلَّاعُ مِنْ ضِرْسِهِ ۞ ثُمَّ اَنَّهَا اَطْعَمَتْهُ وَسَقَتْهُ ۞
وَاَطْمَعَتْهُ فِى الْعَوْدِ اِلَى مِثْلِ حَالِهِ الْاَوَّلِ وَسَوَّفَتْهُ ۞
فَلَمَّا هَمَّ بِذَلِكَ اَمَرَتِ الْجَارِيَةَ بِاِخْرَاجِهِ ۞ وَالْحِيلُولَةِ

بَيْنَهُ وَبَيْنَ دَوَاجِهِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ عَنْ نَفْسِهِ مَنْعًا وَلَا دَفْعًا ۞
وَعَلِمَ اَنَّ اللّٰهَ قَدْ اَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ اَشَدُّ
مِنْهُ قُوَّةً وَاَكْثَرُ جَمْعًا ۞ فَلَمَّا صَارَ خَارِجَ الْبَابِ اَسْتَسْقَى
الْجَارِيَةَ مَاءً فَاَتَتْهُ بِكُوزٍ فَشَرِبَ ثُمَّ اَلْقَاهُ فَكَسَرَهُ وَجَلَسَ
يَبْكِى وَيَنْتَحِبُ وَصَادَفَ ذَلِكَ مَجِيءَ زَوْجِهَا مِنْ دُكَّانِهِ
فَلَمَّا رَاَاهُ عَلَى تِلْكَ الصُّورَةِ سَاَلَهُ عَنْ قِصَّتِهِ فَاَسْتَحْيَا عَنْ
شَانِهِ ۞ فَقَالَ لَهُ وَالْجَارِيَةُ تَسْمَعُ ۞ وَالسَّيِّدُ اَيْضًا
بِمَرْاًى مِنْهُمَا وَمُسْتَمَعٍ ۞ اِنِّى كُنْتُ مِنْ دَارِ الْمَلِكِ مُنْصَرِفًا
وَقَدْ خَلَعَ عَلَىَّ خِلْعَةً كَسَانِى بِهَا فَخْرًا وَشَرَفًا ۞
فَاَدْرَكَنِى عِنْدَ وُصُولِى اِلَى هٰذَا الْمَوْضِعِ عَطَشٌ شَدِيدٌ
لِشِدَّةِ هٰذَا الْقَيْظِ ۞ فَاسْتَسْقَيْتُ مِنْ هٰذِهِ الدَّارِ

مأفأخرج الى الكوز فلما تناولته سقط من يدي فانكسر
فكاد اهلها يتميزون من الغيظ ثم انهم سحبوني الى
بابهم وأوجعوني ضربا فنزعوا خلعة الملك ظلما
وغصبا فقالت له الجارية يا خبيث اهكذا
كان الحديث فقال امّا انا فقد حدثته على قدر
عقلي الناقص الحاير فحدثيه انتِ بعقلك الكامل
الوافر فانكر الزوج على امرأته فعلها
وردّ عليه دواجه فانصرف وقد تمت حيلة مثله
على مثلها قال لها الملك لقد احسن هذا
المجنون في تلطفه واجاد في استنباطه وجه الحيلة
وتصرفه فعودي بنا الى احسن ما تبلغك من استمالة

الخطايا

الخطايا لقلوب الملوك فانّ في ذلك من جواهر الحكم
ما يزري بنظم السلوك قالت نعم اعزّ الله الملك
ذكر ان ملكا من عظماء ملوك زمانه قد
اعلت الاقدار من شانه ومكنت له في سعة سلطانه
فاشتغل بلذته عمّا ينهيه اليه ويزينه من احوال
مملكته واستهتر بصحبة قوم يميلون معه في
اهوائه ويحسنون عنده ما يصدر عنه من ارائه
وانما قصدهم تمكير مكانهم من قلبه واستدعاء
محبته بالموافقة له على ما هو كلف بحبه والنفس
ابدا تميل الى الرخص وتكره ما في عزايم الحق من تجرع
الغصص فان اهمة امر مما يقدح في الملك لم يكونوا

فيه من أهل الغناء ۞ أو حرب به مكروه يعود بالخلل
على الدولة لم يلف عندهم ما يستدفع به من صواب الآراء
فهم كل على كاهل الملك ثقيل ۞ وسبب من أسباب
الوبال يظهر أثره عما قليل وقد قالت الحكماء انما صار
الهوى أثر عندنا من العقل لأنه يخلق معنا ۞ وانما يكمل
العقل فينا بعد مدة فالرجوع اليه انما يكون بمزاولة
العنا ● فمن نال الهوى لقديم الصحبة ۞ وناس
به لطول المدة ۞ والتمييز بين ما يبعث الهوى على
متابعته ۞ وبين ما يحض العقل على موافقته ۞
غامض لا يدركه الا من انعم النظر ۞ وادام السهر ۞
واطال الفكر ۞ ولذلك احتيج الى المشورة فان المستشار

سليم من الهوى بعيد من الغرض الذي يمنع صاحبه من
العمل بإشارة النهى ۞ وقد قيل وافة العقل
الهوى فمن علا على هواه عقله فقد نجا ۞ وكان وزيره
ذا رأي أصيل ۞ وعقل يستميل ۞ ولا يميل ۞
قد خص بفطرة سليمة ۞ وفكرة مستقيمة ۞ وظن
تحسبه لصدقه كهانة ● وإخلاص في المحبة وتحقق
بالأمانة ۞ وكان مع ذلك يخلي الملك من تبصيره مواقع
رشده ۞ وتسديده الى الصواب في رأيه وقصده ۞
ولا يغفل القاء النصيحة في صدره وورده ۞ والملك
مع ذلك مطرح لآرائه ۞ معرض عن ارشاده الى
النصائح ودعائه ۞ متضجر من دخوله عليه متبرم

بلقايه ❁ الى ان صار الوزير لا يتجاسر على حمل نصيحه ●
ولا يقدر على التنبيه على مصلحة صريحه ❁ وهو مع ذلك
ليمن نقيبته ❁ وصفاء عقيدته ❁ يلتمس حيلة يستخلص
بها الملك من تلك الحبايل ❁ ويرتاد وسيلة يتوصل
بها الى اطلاعه على ما يتوقعه من الغوايل ❁ وكده في ذلك
يكدي ❁ وجده لا يجدي ❁ واشتد همّ الوزير حتى
عاف الشراب والطعام ❁ وهجر لديذ الكرى والمنام
وكانت له جارية محبّبه ❁ لبيبه مهذّبه ❁ قد اصلح
التهذيب شمايلها ❁ وثقف التاديب خلايقها ❁ فلما كثر
عليها ما تراه من امور مولاها ❁ وكبر لديها ما يكابده
بمشهدها ومرآها ❁ قالت له يا سيدي الم تعلم ان العلماء

مجمعون على انه لا شيء انحل للجسم من مساورة الهمّ ❁
ومكابدة الغمّ ❁ وانما مدحت الحزمة من الرجال
بمصابرة الامور اذا اشتدّت ● واعمال الحيلة فيها اذا
ارتجت ابوابها وانسدّت ❁ وقد قيل التاني في الحيلة
خير من القوم والنجده وقيل رب راي فل جيشا
وقيل اياك والعجلة قبل المعرفة واياك والوثبة بعد
الثقة وقد كان الافاضل من الملوك مع استغنايهم
بقرايحهم الثاقبة وبصايرهم النافذة لا يخلون الامور
المتشابهة من الاستشاره ❁ ولا يهملون الاستضاءة فيها
بانوار العقول السليمة الاستناره ❁ فان اخطا احدهم
كان ذلك سلّما لهم الى العذر ❁ وان اصابوا فازوا

بالسداد وشرف الذكر وقد قال بعض الحكماء ثلاث
لا يعدم المرء الرشد فيهن * مشاورة ناصح * ومداراة
حاسد * والتحبب الى الناس وقال * اخر لا تدرك
الامور برأي الفرد فليستعن بمكدود بوادع ومشغول
بفارغ وقال اخر لين اخطى وقد استشرت
احب الي من ان اصيب وقد استبددت وقد قيل
اذا الامر اشكل انفاذه * ولم ترمنه سبيلا فسيحا
فشاور بامرك في ستره * اخاك اللبيب الصدوق النصيحا
فربما فرج الناصحون * وابدوا من الراي اياضحا
ولن يلبث المستشير الرجال * اذا هو شاور ان يستريحا
والغر من الملول من ظن انه مستغن عن المشاورة بمبادئه

من سلامة الامور * وجريها على موافقة المقدور
وانما ينبغي للملك ان يعنى بتثمير امواله * والنظر في احوال
رجاله * واعداد الاهبة لكل ما يخشى من عاقبته وباله
فان دهمه امر على حال بغتة كانت اهبته حاضرة *
وعدته ياسره * وان استغنى عن ذلك فمما يحض التحفظ
ولا قدح فيه التيقظ وقد قال بعض الحكماء ينبغي
للعاقل ان يكون اعتماده على ما يوجبه الراي والحزم
ولا يتكل على ما يوجبه الاتفاق والبخت ومن عاب
على نفسه المشورة فليطل الفكرة في سوء العواقب
وما يجره سوء الراي من المصايب وقد قيل
اذا بلغ الراي المشورة فاستعن برأي لبيب او مشورة

حازم ولاتحسب الشورى عليك غضاضة فان الخوافي
قوة للقوادم فلما بلغ الوزير ذلك من كلامها اعجبه
وتفكر فيه بعقله فاستجاده واستصوبه وقص
عليها ما تخوفه على الملك من الاعداء وان الجند قد
تشعبت بهم بعد السياسة فرق الاهواء والاموال
قد انقطع درها والاحوال قد استشرى شرها
والاطراف قد كاد المتغلبون يتغلبون عليها وان تفاقم
الاعمال قد خس بسوء تصرف المتصرفين فيها والملك
مشغول بأفراحه ولذاته غافل عما يعقبه وخيم العقبى
الذى يشمل رعيته ويخصه في ذاته فقالت
الجارية ان الدنيا لابنا لها منها جانب لابتذال جانب

ولا يوصل منها الى رتبة الا بالتزول عن غيرها من المراتب
فان سمحت نفسك بهبتي للملك رجوت ان يتسرى عنك
همك ويزول بعون الله حزنك وغمك فقال ان فراقك
ليحزنني وان فقدك ليعدمني روح الحياة ويفقدني
وما انتفع بالحيوة بعدك واى أرب يبقى لي في الدنيا
اذا زايلني شخصك لا ذقت فقدك قالت له الجارية
ان من حاول عظيما خاطر بعظيمته ومن طلب ذا قيمة
نفيسة بذل ما يملك فيه لنفاسة قيمته قال
لها الوزير ان امرا عجزت عنه حيلتي لجدير ان لا يبلغه
احتيالك وقضية قصرت عن احتمالها قدرتي لحقيق
ان يقصر عنها احتمالك قالت له الجارية اني اصل

مِن الملكِ الى ما لا تصل أنت اليه ❁ واقدر من التوصّل
الى قلبه على ما لا تقدر أنت عليه ❁ لأني أخصّه في وقتٍ
تناهى سروره وطربه ❁ وأخلو معه في اوقات
لهوه ولعبه ❁ وزمام قلبه حينيذٍ في يدي كيف ما
شيت أقلّبه ❁ وعنان لبّه مسلّم اليّ فعلى حكم اختياري
تصرّفه وتقلّبه ❁ لاسيّما اذا اختلفت لذلك وجها
يوجب التأمّل ❁ واخرجته في معرضٍ يرى انه برئ
من التكلّف والتعمّل ❁ فاتخذ لها الوزير عند ذلك
اصناف الحلي والملابس ❁ وحكمها من خزائنه من كلّ
ما اقترحته من الذخاير والنفايس ❁ وحملها الى الملك
في اكمل هيئةٍ وصون ❁ ونقلها إلى قصره وقد اصبحت

في تحمل ما اقترحته ٤

صفات

صفات الجمال عليها مقصورة ❁ فلمّا رآها الملك راعه
ما عاينه من باهر حسنها ❁ واستظرفها ففتنه ما
سمعه من فصاحة لسانها على حداثة سنّها ❁ فملك
عليه أعشار قلبه ❁ وشغلته من نسائه عمن كانت تدلّ
بميله اليها وحبّه ❁ واقامت عنده مدّة لا يلهيه
عنها لهوٌ ولا طرب ❁ ولا يلهيه عن الاشتغال بها
مهمٌّ ولا أرب ❁ فلمّا علمت ان هواها من قلبه
قد تمكّن ❁ وظهر لها صدق شغفه بها وتبيّن ❁
اتخذت مجلسا عظيما كنت بصفايح الذهب الابريز
حيطانه وسقوفه ❁ ورصّعت فيه من الدرّ والياقوت
انواعه وصنوفه ❁ واستكثرت فيه من بدايع الآلات

وعجايب الحركات والنغمات ❁ ومن المياه المخرقه
والجداول المترفقه ❁ وشخوص الاطيار الناطقه
بغرايب الالحان ❁ وفنون الفواكه والزهر والريحان ❁
ونفايس الفرش والمنارق البديعات الالوان صنوان ❁
وغير صنوان ❁ ما كان في وقته قيد العيان وشغل
اللسان وعمة الاذان ❁ وكانت قد سترت عن الملك
في طول هذه المدة حدقها بصنعة العود ❁ وذخرت
ذلك لهذا اليوم الموعود ❁ ثم دعت الملك الى مجلسها
وقد اظهرت من زينتها ما يناسب زينته ❁ وبرزت
من تجملها في قالب استوفى من الجمال جملته ❁ فلما دخل
عليها راقه ما راى من بديع جمالها ❁ واطربه ما

شاهده

شاهده في ذلك المجلس من جميل اهتمامها ❁ وجميل
احتفالها ❁ فلما استقر به مجلسه ❁ وطاب به
تانسه ❁ ونال بقدر الحاجة مما هيئ من ذلك الطعام ❁
وشرع في استدعاء السرور بتناول كاسات المدام ❁
اخذت العود ❁ وقد حفت بها طوالع السعود ❁
وغنت غناء كاد يذيب الجوامد الجلامد وكانت
كما قيل

غنت فلم تبق في جارحة ❁ الا تمنت انها اذن ❁

فاجتمع له من السرور ما تفرق في سالف عمره ❁
واسف على ما فرط فيه من الغفله عنها في غابر دهره ❁
ثم انشد بعد ما قرع سن نادم ❁

وكاد سروري لا يفي ببداءتي ● على تركها في دهري المتقادم
فلم يزل معها على تلك الحال حتى علمت ان السرور قد غلب
عليه ✿ والطرب قد تناهت غايته اليه ✿ فاندفع
يغني بشعر تعرض فيه لذلك المجلس بالزوال ● ولتلك
الحال بالتحول والانتقال ✿ ثم اجهشت في اثره بالبكاء
والعويل ✿ واتبعت ذلك بالاسف الزايد والتحسر
الطويل ● فاضطرب الملك لذلك وتنكر ✿ وتغير
وجهه وتمعر ✿ وقال لها ما هذا البكاء الذي
بهذا الوقت ✿ وما الموجب للانتقال من حال يوجب
المقة الى حالة توجب المقت ✿ وهل بقي شيء من المسار
الا وحضر وهل شيء من هذه الملاذ الا وقد عبر في

وجه ما مضى من امثاله في سالف العمر وعبر ✿
فقالت لا والله ما على هذا كان اعوالي ✿ ولا
بسببه كان ادراري لدمعي واسبالي ✿ قال فلم عرضت
بزوال هذه المسرة ✿ ولم عقبت ما تقدم منك
من المبرة بهذه المضرة ✿ فاستعفته فامتنع من اعفائها
فاقسمت عليه فاقسم ليخبرنه بهذه القصة التي قد
اضرت على اخفائها ✿ فقالت وكيف لا ابكي لفقد هذه
الحال السارة ✿ واتاسف على خروجي من ظل عز
الملكة وحمى دار الامان **فقال** لها ما هذا
الوسواس الذي قد ملك عليك مالك ✿ وما هذا الفال
الذي اوقعك فيه الرأي لا ابا لك **قالت** واي

مُلكٍ يبقى وقد فشا الظلم في الرعيه ❁ وضعفت عن
دفعه من السلطنة يدها القويه ❁ ولم يبق من الخشى
ظلماً غير ذلك ❁ ولا خير يرجى من احد الا فضلك وخيرك
وقد أهملت مع ذلك ايها الملك النظر في أمور رعيتك
والمباشرة لاحوالهم ❁ وأعرضت عنهم اعراض المغضب
عليهم فانقطعت من حسن الظن بجميل الرأي فيهم عرى
آمالهم ❁ فلو نظرت اليهم في كل اسبوع نظرة لعرفت
بهاء في وجوههم نضرة النعيم ❁ واستروحوا اليك
ولو بالشكوى كما يستريح الى الطبيب بشكوى بثه السقيم
فان الطبيب يتنعش عند رؤية طبيبه قواه ❁ ويجد
لذلك من الاثر في نفسه ما لا يجده لنافع دواه ❁

حكى

ان بعض ملوك الصين كان قد أوتي في العدل
بسطه ❁ وحبب اليه الانصاف حتى لم يكن له في شيء سواه
سرور ولا في غبن غبطه ❁ فكان يجلس لرعيته غداة
كل يوم فينظر في مصالحهم ومظالمهم ❁ ويكف عن مظلومهم
يد ظالمهم ❁ فلم يزل على ذلك حتى اصيب بآفة في سمعه
واعتراه صمم لم يقدر بحيلة على دفعه عن نفسه ومنعه
فتعاظمه ما نزل به من هذا العارض ❁ وتكدر عليه
من عيشه صفوه واضحى حميم لذاته وهو بارض ❁ فدخل
عليه في بعض الايام بعض خواصه فوجده يبكي بكاء ثكلى
اصيبت بواحدها ❁ وعزاها الجزع فعز عليها العزاء
حتى ابكت عين حاسدها **فقال** له الملك اعزك الله

أبصر بمواقع السلو والعزاء ❁ وأعلم بما أعده الله
تعالى للصابرين في البأساء من حسن الجزاء ❁ وان
الجزع لا يرد فائتا والبكاء لا يرد ذاهبا ❁ والصبر
احسن في الامور عواقبا ثم قال والله لا ابكي
لما فات مني فاني قد احتسبت عند الله فوته ❁ ولكن
لمظلوم يصرخ بالباب فلا اسمع صوته ثم قال
اما ما ذهب سمعي فان بصري لم يذهب ❁ واذ قد
سلب البعض مني فان لي عوضا فيما لم يسلب ❁ ثم امر
فنودي في الناس لا يلبسن ثوبا احمر الا مظلوم ❁ فكان
يعلن بهذا الشعار الا من هو مهتضم مكظوم وكان
يركب الفيل في طرفي نهاره ❁ ويرمي الناس بحاسة

فقال

ابصاره ❁ فمن رآه مستشعرا شعار المظلم ❁ او
مشيرا اشارة المتضرر والمتألم ❁ امر في الحال بكشف
قضيته ❁ واساغة غصته ثم يقول اللهم هذا
مبلغ جهدي وحيلتي ❁ فلا تؤاخذني بما لم تبلغه قدرتي ❁
ثم انه ايها الملك قد قل ما يحمل الى خزانتك من الاموال
وخلت مخازن اقواتك من الغلال ❁ والملك اذا لم يؤت
سعة من المال ❁ انقطعت من تامله علائق الآمال
ولم يقدر على بلوغ شيء من اغراضه على حال ❁ وقد قيل
الكريم على الناس ذو المال ❁ والكريم فيهم ذو النوال ❁
فينبغي ان يكون الملك متلفا مخلفا ❁ وواهبا كاسبا
مبيدا مفيدا وقد قيل

فأنلف وأخلف انما المال عارية وكله مع الدهر الذى هو آكله
ويجب ان يكون عناية الملك ببيوت اموالهِ كعنايتهِ
ببنى امالهِ وتربيته لاصول ارتفاعه كرتبة الصنيعة
عند ذوى اصطناعه وان لا يكون عند الحاجة الى ما
فى ايدى رعيتهِ مفتقرا ولا بالضرورة عند وقوعها
فى مضايقتهم معتذرا فيكون مثله كمثل الهرم التى
تاكل اولادها عند ضرورتها وتنسى ما كان لها عليهم
قبل ذلك من حنوها وشفقتها ثم جباة الاموال
ومن يتولاها من قبلهم من العمال فهم رجلان اما ذو
جرأة واقدام على الخيانه واما عف وامانة قد
اضاع بالمحاباة والذب عن نفسهِ من حقوق الديوان

ما هو حقيق بالصيانه فلو استشعر الاول ازله من يأخذه
بسوء جنايته لكف عن غرب جرأته وخيانته ولو
تحقق الثانى امنه ممن يسعى فى افساد حالته لعمل بمقتضى
علمهِ وامانته فعدم النظر هو الذى طرق هذا
الخلل وافضى الى هذا الامر الجلل ثم الاجناد
الذين هم اعضاد الدولة وانجادها واركان
الملة واوتادها وبهم يرهب العدو ويقمع
وبسيوفهم يستاصل دابر ويقطع قد افسدت
المساواة بينهم عقايدهم وغيرت فى الطاعة عوايدهم
فتفرقت اهواؤهم المنتظمة فى التساهل والعزايم
وقد قال الحكيم اذا تساوى الناس هلكوا واعظم

مِن ذلك اهمال النفقد لأحوالهم ❁ واغفال شغلهم فيما
قد أهلوا له واستعملهم ❁ حتى قضى ذلك لهم باعتياد
الرفاهيه والراحه ❁ وصيّر محظورات تلك الامور
كلها عندهم مباحه ❁ فاستلانوا الهوينا واعرضوا
في طلب العزّ عن التعرّض للمتالف ❁ وقعدت به همم
النفوس حتى تشبهوا بالقواعد ورضوا بان يكونوا من
الخوالف ❁ وحملتهم الجراءة الى أن طلبوا من زيادة
الارزاق ❁ فوق ما توجبه لهم قضيّة الاستحقاق ❁
فان يعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون
ثم قعدوا عن التكسب باسباب معيشتهم ❁ وشاركوا
الرعيه في مهمّ عيشتهم ❁ وتمثلوا بالسوقة لطول

المقام

المقام معهم في اخلاقهم ❁ وضايقوهم لما غلب عليهم
من حبّ الراحة في تصرّفات ارزاقهم ❁ وانما الجند مثل
كمثل الكاسر الذي يتكسب بنابه ومخلبه ❁ وتسموا
نفسه لشرفها عن مشاركة شيء من الحيوانات في ماكله
ومشربه ❁ فهو لا يسأم مبارزة الخطوب ❁ ولا يكره
منازلة الحتوف ❁ ولا يحبّ المال الا من قنا وسيوف
يظلّ بموماة ويمسي بغيرها ❁ حجيشا ويعروري ظهور المهالك
يرى الوحدة الانس الانيس ويهتدي ❁ بحيث اهتدت ام النجوم الشوابك
ثم الاعدا المحاور لبلادك ❁ قد اشرفوا من كل جانب واطلوا
واجمعوا على غزوها من كل جهة وقل ما غزي قوم
في عقر دارهم الا ذلوا ❁ ثم شرحت له من اسرار ما كان

الوزير القاه اليها البواطن ❁ واثارت من غوامض ما
كان قصه عليها الدفاين فقال لها انى لك هذا
قالت ممن حمله على التحيل فى النصح فرط شفقته ❁ وعرف
لمربيه ومصطنعه حق اصطناعه وتربيته ❁ فافاق
الملك من غمرة سكره ❁ وثاب اليه من لبه ما كان عازبا
فندم على ما فرط فيه من أمره ❁ وخرج فاستدعا
الوزير من فوره ❁ وساله ان يخبره بكلما يعتلج فى صدره ❁
فوجده مستعدا للجواب عن كل ما يسال عنه ❁ متهيئا
للارشاد الى كل ما يراد من سداد الراى منه ❁ فاطلعه
على خفايا الاسرار ❁ وعرفه ما صح عنده عن عدوه من
الاخبار ❁ وبصره من السياسة امورا كان يستترها

عنه

عنه غشاوة على ناظر قلبه فانها لا تعمى الابصار ❁ فطرق
خجلا من الوزير ❁ وندم على ما كان منه لهذه النصايح
من التاخير ❁ ثم رفض اللذات البهميه وهجرها ❁
وحرم الشهوات الحسيه وحظرها ❁ واخرج ما
عنده من آلة المنكرات التى انكرها فحطمها وكسرها ❁
ورجع الى الله تعالى من جميع ذنوبه تايبا ❁ ولزم باب
جوده وفضله عاكفا على الاستغفار مواظبا ❁ ثم
انتصب بنفسه لقمع الظالم واداله المظلوم ❁ ورتب
كل شئ من التدبير فى وقت معلوم ❁ ثم احسن النظر
فى امور رعاياه واجناده ❁ ورمى بسهام الآراء
الصايبة لما بعد من اطراف بلاده ❁ فلم يلبث ان توطدت

لَهُ الأُمُورُ وَاستَقَرَّت ❁ وَجَرَت احوالُ دَولَتِهِ عَلى
قَوانِينِ الصَّلاحِ وَاستَمَرَّت ❁ فانتَشَرَ فِي الآفاقِ انَّ المَلِكَ
قَد باشَرَ سِياسَةَ مُلكِهِ بِنَفسِهِ ❁ وَصَمَدَ فِي يَومِهِ لِتَلافِي
فارِطِ أَمسِهِ ❁ وَتَبَتَّلَ لِتَفَقُّدِ المَصالِحِ فِي لَيلِهِ وَنَهارِهِ ❁
وَالهاهُ الاشتِغالُ بِذلِكَ عَمّا كانَ يَشغَلُهُ مِن لَذَّتِهِ وَاوطانِهِ
وَانَّهُ قَد اخَذَ فِي تَسرِيبِ العَساكِرِ إِلى الاقطارِ الشاسِعَهِ
وَتَجهِيزِ الجُيُوشِ إِلى الآفاقِ البَعِيدَهِ بِالقُوَّةِ المانِعَهِ وَالآلَهِ
الجامِعَهِ ❁ فَخَسَرَ كُلٌّ مِنَ الأَعداءِ فِي كاسِهِ ❁ وَاعَدَّ
بَعدَ آلَةِ غَزوِهِ آلَةَ احتِراسِهِ ❁ وَقَنِعَ مِنَ الغَنِيمَةِ بِحِفظِهِ
لِراسِهِ قالَ المَلِكُ لَقَد احسَنتُ هٰذِهِ الجارِيَةُ
فِي إِيقاظِ المَلِكِ مِن غَفلَتِهِ ❁ وَتَنبِيهِهِ عَلى مَصالِحِ دَولَتِهِ ❁

فَوَيدِنى

فَوَيدِنى مِن هٰذِهِ الوَصايا المُثَقَّفَهِ ❁ وَالقَضايا
التى هِيَ إِلى الصَّوابِ مُرشِدَهٌ وَبِهِ مُعَرِّفَهِ قالَت
نَعَم اعَزَّ اللهُ المَلِكَ وَامّا ايداعُهُ القُلُوبَ الرَّهبَهَ
مِن غَيرِ ضَغِينَهٍ فَبِاقامَةِ الحُدُودِ فِي العُقُوباتِ عَلى
حَدِّها ❁ وَإِسقاطِ الشَّفاعاتِ فِي اسقاطِ شَيءٍ مِن اسبابِها
وَاشَدِّها ❁ وَالإِعراضِ عَن اظهارِ انَّ لِلنَّفسِ حَظّاً بِالجُملَهِ
فِي استِيفائِها ❁ وَاشعارِ القُلُوبِ انَّهُ لا مَحِيدَ عَن امتِثالِ
الشَّرِيعَهِ الإِلهِيَّهِ فِي ذٰلِكَ وَاتِّباعِ قَضايا ❁ فَاِذا تَحَقَّقَ
المُذنِبُ انَّهُ غَيرُ ماخُوذٍ بِالذَّنبِ ❁ وَلا يُجازى بِالإِثمِ
قَدَّمَت يَداهُ مِن كَسبِهِ ❁ وَانَّ المَعاقِبَ لا ارَبَ لَهُ فِي
عِقابِهِ إِلّا امتِثالُ امرِ رَبِّهِ ❁ زالَتِ الضَّغِينَهُ مِن نَفسِهِ

١٠

وسكنت الرهبة في قلبه **واعلم** ايها الملك ايدك
الله انه يجب على الملك ان يعم بالقوت ❁ ويمنع من
فضول العيش التي يمتنع بها كثير من المصالح وتفوت ❁
وهي مع ذلك مادة الاشر والبطر ❁ والباعث على
كل شر يستطير له شرر ❁ ويفقد اجناده وحطاياه
وابناء دولته ومن يلتزم امن من رعاياه ❁ فيقدر لكل
منهم من الرزق على قدر همته ❁ ولا يقتصر به على البلغه
من كفايته ❁ فان الهمم تختلف باختلاف الاشخاص ❁
والنفوس فيها متفاوته فمنها ما يحب له الزيادة ومنها ما
يتعين منه الانقاص ❁ واعدل الهمم ما كان وسطا
بين طرفي التبذير والتقتير ❁ وعدلا غير مايل الى احد

جانبي التفريط بالقليل ولا الافراط بالكثير ❁ والملك
امين الله في بلاده ❁ وخليفته على من خلق من عباده
اقامه لتدبير خلقه ❁ وجعله قاسما بينهم لما قدره
لكل منهم من رزقه ❁ والملك في يده وديعة فلا ينبغي
له ان يغل ❁ والامانة فلا يجوز له ان يقصر في حفظه
ولا يشط صيانته ان يخل ❁ ومن الغلول انفاقه في غير
حقه ❁ ومن التقصير في حفظه اعطاؤه لغير مستحقه ❁
لانه موهل للصرف في مهام الامة حين لا يغني الا صرفه
واطلاقه ❁ ومعد للانفاق في مصالح الملة حين لا
يجدي الا بذله وانفاقه **واعلم** ايها الملك اعزك الله
انه يجب على الملك ان لا يكون بار الى النساء في شيء من التدبير عاملا

وَلَا مَعْهُنَّ فِي جَمِيعِ الْأَغْرَاضِ مَا يَلَا ۞ فَقَدْ سَبَقَ الْمَثَلُ
بِقَوْلِ الْحَكِيمِ الْمَرْأَةُ رَيْحَانَهُ ۞ وَلَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَهُ ۞
وَمِنْ كَمَالِ سَعَادَةِ الْمَلِكِ وَتَمَامِ إِقْبَالِهِ ۞ وَاسْتِيلَاءِ التَّوْفِيقِ
عَلَى آرَائِهِ وَاشْتِمَالِهِ ۞ أَنْ لَا يَكُونَ صَغِيرُ الْأَعْدَاءِ مُحْتَقَرًا
وَلَا عَلَى يَسِيرِ التَّدْبِيرِ فِي أَمْرٍ مُقْتَصِرًا بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ الْمُبَادَرَةُ
بِقَطْعِ نَوَاجِمِ الْأَعْدَاءِ ۞ وَأَنْ لَا يُهَاوِنَ بِالْأَمْرِ فِي أَوَّلِهِ فَيَأْخُذَ
فِي الزِّيَادَةِ وَالِاسْتِشْرَاءِ ۞ فَإِنَّ سَبْرَ الشَّرِّ يَبْدُو كَالنَّارِ
أَوَّلُهَا ضَئِيلٌ ۞ وَآخِرُهَا لَا يُطَاقُ دَفْعُهُ بِحِيلَةٍ ۞
فَإِنْ لَمْ يُبَادِرْ إِلَى إِطْفَائِهَا وَإِخْمَادِهَا ۞ أَهْلَكَتْ بِسُرْعَةِ
اشْتِعَالِهَا وَإِيقَادِهَا ۞ فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُقَابِلَ ضَعِيفَ الْأَعْدَاءِ
بِمُقَابَلَةِ قَوِيِّهَا ۞ وَيُسَاوِيَ فِي الْأَخْذِ بِالْحَوْطَةِ بَيْنَ شَرِيفِهَا

وَدَنِيِّهَا ۞ فَرُبَّ فِتْنَةٍ كَانَتْ عَنْ كَلِمَةٍ يَسِيرَةٍ ۞
وَمِيتَةٍ كَانَ سَبَبُهَا لُقْمَةٌ حَقِيرَةٌ وَقَدْ قِيلَ
۞ وَلَا تَحْتَقِرْ عَدُوًّا رَمَاكَ ۞ وَإِنْ كَانَ فِي سَاعِدَيْهِ قِصَرٌ ۞
۞ فَإِنَّ السُّيُوفَ تَجُدُّ الرِّقَابَ ۞ وَتَعْجِزُ عَمَّا تَنَالُ الْإِبَرُ ۞
وَقَدْ مَنْ كَانَ يَا عَبَّادَ السِّيَاسَةِ مُسْتَقِلًا فَكَانَ لِقَلِيلِ الْأَعْدَا
مُسْتَقِلًّا أَوْ كَانَ بِأَنْوَارِ الصَّوَابِ مُسْتَدِلًّا فَكَانَ
لِذَلِيلِ الْأَعْدَاءِ مُسْتَذِلًّا وَقَدْ ضَرَبَتِ الْحُكَمَاءُ فِي ذَلِكَ
مَثَلًا ۞ وَصَرَّفُوا فِيهِ أَقْوَالًا ۞ وَأَوْرَدُوا عَلَيْهِ مِنَ الْحِكَايَةِ
عَمَّا شُوهِدَ شَاهِدًا وَمَثَلًا ۞ مِنْ ذَلِكَ مَا حُكِيَ
أَنَّ بَعْضَ الْمُلُوكِ كَانَتْ قَدْ فَسَدَتْ سِيرَتُهُ ۞ وَاخْتَلَّتْ
سِيَاسَتُهُ ۞ وَغَلَبَ عَلَيْهِ جُنْدُهُ وَأَقَارِبُهُ ۞ وَقَلَّتْ فِي

التدبير مضاربه ❁ فصارت المنكرات في اعماله فاشيه
والمخزيات في بلاده ظاهره باديه ❁ وحرمات الشريعة
منتهكه ❁ وذوو القدرة قد قهروا الضعفا بسوء الملكه
وكان في مدينته رجل صعلوك ❁ الا ان له همة الملوك
فلما رأى شدة اختلال الاحوال واضطرابها ❁ وظهور
مبادي اشراط الزوال واقترابها ❁ حدث نفسه
بالاستيلا على الملك والتغلب ❁ وناجاها بالفقر على الامر
والتوثب ❁ فاخذ في التعرض للامر بالمعروف والنهي عن
المنكر ❁ متحققا ان هذا الامر وان قل مساعده فيه
فانه مما لا ينعى عليه ولا ينكر ❁ فاظهر القيام بالحسبة
احتسابا ❁ وانكر على من يتخذها معيشة واكتسابا ❁

ثم تدرج من ذلك الى الجراة على الملك في احواله ❁
والانكار عليه بغليظ القول لكثرة انتحاله ❁ واظهار
الاستخفاف به وقلة المبالاه ❁ والاعتراض بالطعن على
احكام الولاه والقضاة ❁ والتفوه بالفاظ يقدح
بها في سياسة الملك وسيرته ❁ وبعث العامة
بمقتضاها على خلع طاعته ونقض بيعته ❁ مستندا في
ذلك الى ما اظهره من خشونه التزهد ❁ وبرز فيه من
حليه التنسك والتعبد ❁ حتى كثر من الغوغا اتباعه
فقط لسر مقصوده دوو البصاير ❁ وعلموا ما بحره
التهاون بامره من سوء الجزاير ❁ فاعلموا الملك لباب
مقصده ❁ واطلعوه على ما اطلعوا عليه من حيث

معتقده ❁ واغروه بسفك دمه ❁ وحذروه من
التقريط المعقب لاسفه وندمه ❁ فضحك منهم هازيا
وسخر من اقوالهم لاهيا **وقال** ان من اقبح ما
يتشر ويذكر ❁ واشنع ما يروي ويوثر ❁ ان الملك
على جلالة منصبه ❁ وجميل رايه في الراي ومذهبه ❁
خاف من عاديه صعلوك فقير ❁ وذعر من قصة مسكين
حقير ❁ وليس من ذوي الجراة والفتكه ❁ ولا من اهل
الشوكة والسكه ❁ فبادر الى قتله منتهزا لهذه
الفرصة العظيمه ❁ وخايفا من بعده العقبه الوخيمه ❁ وكيف يسوغ في الشريعه الاقدام على رجل
من اهل الدين بالقتل ❁ او يحل في الدين المبادره بسفك

دم من لا ذنب له الا الامر بالاحسان والعدل ❁ فقالوا
له ايها الملك اراك الله الصواب واستعملك فيما يرضاه
من المحاب فاذا لم تسمح نفسك بقتله ❁ والاحسن عندها
حسم هذا الداء من اصله ❁ فقدم بحبسه ليكون ذلك
اما زاجرا له عن معاودة الجراة عليك والقدح في دولتك
او باعثا له على الخروج من حوزتك وارتياده بلدا غير بلدتك
فتقدم الملك باعتقاله ❁ وامر المتوكلين به بمطالعته
باحواله ❁ فلم ير امقت في طول حبسه عن الصلاه والصيام
ولا مقصرا في احياء الليل بالتلاوه والقيام ❁ ولا متناولا
من الشراب والطعام الا قدر ما يكون لنفسه به
قوام **فلما** اعلم الملك ذلك من حاله ندم على ما كان من

حبسه ۞ ولام من حمله على ذلك وعاد باكثر اللوم على
نفسه ۞ ثم امر باخراجه واكرم مثواه ۞ ورغب اليه
في التحليل مما كان منه وان لا يخليه من ضارح دعاه ۞ فلما
تحلى سربه ۞ وتحلى بالانس قلبه ۞ عاد الى اعظم من حاله
الاول ۞ وافرط في الزيادة فيما كان يقول ويفعل
فافتعل الناس له من كوادب المنامات واختلفوا له
من فنون الكرامات ۞ ما كاد وابر فعونه عن درجة
الاولياء الى رتبة الانبياء ۞ وحلونه محل من حوطب من
الهواء ۞ وكوشف بحقايق الانباء ۞ فاجتمع اهل النصيحه
الى الملك وقالوا له ان لم تلاف هذا الداء والا اعضل
دواؤه وامتنع ۞ وان لم يبادر برفع هذا الخرق

اعيا على الراقع واتسع ۞ وانا لم نزل قط في امر هذا الرجل
على بصيره ۞ ولم يحالجنا الشك قط فيما كان يبطنه من
سوء سريره ۞ وانما بدا للملك في امر امن فلم يستطع فيه
مقاومته ۞ ورأى في يابه رايا فلم يمكنا ان نطيل فيه
خدالله ومخاصمته ۞ وحكمنا فيه ان يمضي فيه حكم آية
السيف فيقتل فقال الملك ان نفسي لشديدة النفار
من قتله ۞ واني لاريحها من سوء المقدرة على مثله ۞ ولكن
ينفى من المدينه ويخرج ۞ ويعفا من القتل وان كان
اليه قد احوج ۞ فاخرج عن المدينه من فوره ۞ وخرج
الناس لتوديعه حتى عض بالنطاره منهم سورها على سعه
دور ۞ فانتهى به المسير الى بعض القرى فاوى

الى ظل مسجدها مستعرضا للقرى ۞ فلما راى اهلها
حسن سمته وسمته ۞ واطباهم بما شاهدوه منه
من عمارته بالخيرات لوقته ۞ اكرموا نزله ۞ وعرفوا
فضله ۞ وقالوا له ان شيت المقام عندنا فاقم
وان اثرت المقام عنا فها اموالنا فاحتكم ۞ فقال
والله ما بى عن المقام بينكم رغبه ۞ ولا بدا لى منكم الا
ما يوجب المقه والمحبه ۞ ولكنى اخاف ان كون عليكم
كلا ۞ واخشى ان يطول مقامى بينكم فتستثقلوا ظلا
فلو رايتم لى عملا من الحلال اعمل فيه ۞ واقنع ان اكون
ممن يصونه عنكم ويحميه ۞ لرجوت ان يكون ذلك الى
دوام الالفه اقرب ۞ ورايت ان الاخذ به اولى واوجب

قالوا له تالله لقد بالغت فى الانابة عن لومنا ۞
واستوجبت بذلك غاية ذمنا ولومنا ۞ وان زكوات
اموالنا لتفضل عن ذوى الحاجه مناحتى نقلها الى
البلاد النازحه ويرصد بعد ذلك منها جانبا لما
يعرفوا من حادثة او يطرق من جايحه فلك من ذلك
ما يزيد على كفايتك ۞ ويفضل عن مقدار حاجتك ۞
فشكر وصلهم ۞ وقبل بدلهم ۞ واقام عندهم
مدة يعلمهم فرايض الدين واحكامه ۞ ويبين لهم رسومه
ويبصرهم اعلامه ۞ فبينا هو ذات يوم جالسا فى ظل
فنايه ۞ وعنده منهم من لا يحتشمه من اوداينه ۞
اذ سمع فى ظاهر القرية ضجة ارتفعت لها الاصوات

وصيحة قد علت حتى اسمعت الاموات ❁ واستطارها
من الغبار ما كاد يحجب ضوء الشمس عن الابصار ❁ فسال
عن تلك الضجه ❁ وما سبب تلك اللجه ❁ فقيل له
وصول الاعلاج ❁ الذين يجبون للملك الخراج ❁ ومطالبتهم
بالضيافه المجحفه ❁ وسومهم الامور المتحوفه ❁
وتوظيفهم على الناس الكلف الشاقه ❁ واخذهم
كلا منهم بما لا ينهض له به طاقه ❁ واستيداهم بعد ذلك
الخراج باشد العسف ❁ وحملهم على الحوال الاقويا
ما يلحقها باحوال اولى الضعف ❁ فضرب باحدى يديه على
الاخرى ❁ وتنفس تنفس ذوي كبد حرى ❁ وقال ما
قدرت ان اعيش الى ان ابتلى بمثل هذه البلوى ولا ظننت

انى نازل على قوم قد نزلوا من الذل بالعدوة القصوى
يا قوم اجمعوا الى وجوهكم وخياركم ❁ بل هلموا الى صغاركم
وكباركم ❁ ابصركم من العمى واحلوا عنكم من الغار هذا
العمى فاجتمع اليه من الحى اباؤه وابناؤه ❁ واقبل اليه
منه رجاله ونساؤه ❁ فلما تكانفوا بين يديه ❁ قام
فيهم قايما على قدميه ❁ وبكى حتى ابكى من حضر اليه
وقال يا قوم ما ظننت انكم من الذل بهذه المثابه ❁
ولا خفت انكم نازلون فى الخسف بهذه الخطة يا
لهذه العصابه ❁ ولو علمت انكم ممن يغمض على هذا القذى
ويغضى لكان لى مضطرب واسع فى الارض ❁ ذات الطول
والعرض ❁ فعلام تلقون بايديكم ❁ ولم لا تذودون

العار عن نواديكم ۞ وتمنعون الضيم عنكم وعمن يحل
بواديكم ۞ وحسام يحشون في الجواب من ناديكم ۞
وتفون ما تتوهمونه من العواقب بالتفريط فيما تحققونه
من مناديكم ۞ هل بعد هذا العار من عار او بعد هذا
الصغار من صغار اي شيء اعظم من هتك الحريم واصطلام
الاموال ۞ واي نكال اشد من اشتار الرجال في الاغلال
هل بعد ذلك غار تتقي ۞ ام هل وراء منزلة من الفضيحة
تحشون ان تسمى بكم اليها وبين تقي ۞ فقالوا له والله
لقد صدقت عن الحق فيما نطقت ۞ وما صدقت عن الحق
فيما وصفت ۞ ولكنها الطاعة التي لا يجوز مخالفتها
والجماعة التي لا يجوز مفارقتها ۞ والسلطان الذي لا

يسع الا امتثال امره ۞ ولا يتسع الا الدخول تحت عدل
حكمه وجوره ۞ فقال اما علمتم انه لا طاعة لمخلوق
في معصية الخالق ۞ وان المكثر لسواد الفساق هو على
الحقيقة لجماعة الحق مفارق ۞ ان هذا الاعذار الدليل
وان المقيم بينكم لاضل منكم عن سواء السبيل قالوا فماذا
الذي به تامرنا ۞ وما الذي به نسير لنقف عنده تقدما
وتاخرا ۞ قال ان اردتم ان ينحسم عنكم هذا الداء ولا
ولا يسري ۞ فاتبعوني واطيعوا امري ۞ قالوا لن نبرح
على طاعتك عاكفين ۞ ولن نزال بعدها لشيء من امرك
مخالفين ۞ فقال اما اذ انتم ان وفيتم بما ضمنتم وستروا
عاقبة نصحي لكم ان شكرتم وامنتم ۞ والذي اراه لكم ان

تجمعوا كيدكم ❁ وتوفروا قوتكم وايديكم ❁ وتعلموا جلو
هذه القضيه والاثام ❁ وتغسلوا عنكم عارا قد سدل
على طوله الايام ❁ قالوا وكيف لنا بذلك والاهوا
متفرقه ❁ والآراء غير متفقه ❁ وليس لنا رأس يجمعنا
سياسته ❁ ولا رئيس يضم شوارد ياسته ❁ فقال
على جمعكم ما اجتمعتم ❁ والقيام يأمركم ما جمعتم واطعتم
قالوا قد قلدناك امورنا ❁ ووقفنا على حسن نظرك
تدبيرنا ❁ فلن نجد منا من له على حكمك اعتراض ❁ فاقض ما
انت قاض ❁ فقال انه بلغني ان كلّ واحدٍ من هؤلاء الفسقه
نال منكم على واحدٍ وانه قد كلفه ما لا يطيقه فهو عاجله
قائم قاعد ❁ فاذا اقبلت عساكر الليل تترى ❁ واخذ

كل واحدٍ منهم يغطّ غطيط البكر في مضجعه شكرا ●
فليدخل كلّ واحدٍ منكم على ضيفه ❁ مشتملا بسيفه
وليسقه كاس حمامه ❁ بدلا من كاس مدامه ❁ وليعاجله
بانتقامه قبل هبوبه من منامه ❁ فاذا اتيتم على آخرهم
وكبكبوا في النار على مناخرهم ❁ اخذتم سلاحهم وكراعهم
وافدتم سلبهم ومتاعهم ❁ فاصبحتم وقد عدتم اهل يأس
ونجده ❁ بعد ما كنتم اهل بؤس وشده ❁ وذي قوةٍ
ومنعه ❁ بعد ما كنتم اولي وهنٍ وضرعه ❁ فتحاماكم
الاعدا ❁ وتجاوبت بفعلكم الاصدا ❁ واجتمعت على
مودتكم الاهوا ❁ ولم تذكروا في محفلٍ الا قيل ذكرهم الهنوا
ويحق للسلطان انكم حماة الحقايق ❁ وفارجوا المضايق

وفاتحوا المغالق ۞ وسابقوا البوايق ۞ فنزل من
الحكم على مرادكم ۞ وقررتم وادعين في بلادكم ۞ واعلموا
انه لا يتم لكم ذلك كل التمام ۞ ولا ينتظم لكم كما له اكمل
انتظام ۞ الا باتفاق اهل القرى المجاورين لكم في الباسا
والضراء سبلكم فانهم اخوانكم واعوانكم وجيرانكم واحد الم
فاذا حصل بمشية الله منهم الوفاق ۞ ووقع بينكم وبينهم
الاتفاق ۞ قويت شوكتهم ۞ واشتهرت شكتكم ۞ فمدوا
ايديهم فبايعوه ۞ وضمنوا له ان يوازروه في كل امر
ويتابعوه ۞ ثم كتبوا الى مجاوريهم بما اجتمع عليه رايهم
ورأوه من الصلاح لانفسهم ولهم فوردت اجوبتهم بالاجتماع
على ذلك والاتفاق ۞ والاجماع على بيعة الشيخ والاصفاق

وتواعدوا ان يكون ذلك منهم في الليلة القابله ۞ وان
تكون ابدانهم الفاعله مصدقه لالسنتهم القابله ۞ فلما
انفجر صبح تلك الليلة الاولى القوم مرعى كانهم اعجاز نخل خاويه
تمتار لحومهم السباع العاديه ۞ والذياب العاويه ۞
فهل ترى لهم من باقيه ۞ فلما تم للشيخ مراده ۞ وسر
ببلوغ امله فواده ۞ جمعهم وقال اعلموا ان الله سبحانه
قد من عليكم بما لم يكن لكم في حساب ۞ واوردكم بلطفه
وجوده مناهل كرمه العذاب ۞ فاشكروا له ان جعلكم
بعد الذل اعزه ۞ وكثر جمعكم بعد ما كنتم للطارق
نهزه ۞ واغناكم بجوده بعد الفاقه ۞ ورزقكم فوق
الحاجة ۞ وكلفكم دون الطاقه ۞ فان الشكر ضامن

للمزيد ۞ وكافل للنعم بالتأييد والتخليد ۞ وقد اقدمتم
على فعل ان تقاعد ثم عن اتمامه ۞ ولم تحصدوا عقد
فتله وابرامه لكنتم كقاطع دنب الافعى ۞ وتاركها
عايدة اليه بالشر نسعى ۞ وكانكم بعساكر السلطان قد
اقبلت اليكم كقطع الليل ۞ فاعدوا لهم ما استطعتم
من قوة ومن رباط الخيل ۞ واذكروا ما كنتم فيه بالامس
من التضرع تحت احكام العلوج ۞ وما صرتم اليه في قومكم
من التفلت على متون السروج ۞ وما فقدتم من الذل في
مكابده الاغلال والقيود ۞ وما وجدتم من العز تحت
ظلال السيوف واقياء البنود ۞ فاطلبوا العز في لظى ودروا
الذل ولو في جنان الخلود ۞ فقالوا له لقد كنا في غفلة

من هذا حتى استنقذنا الله بك من هوة الذل ۞ واستخلصنا
ونجانا بيمن بركك من فتنة الظلم ۞ وخلصنا فاستدت بحمد
الله منا القوى والسواعد ۞ وتوطدت من عقايدنا
النبا والقواعد ۞ فلن نالوا جهدا في طاعتك التي بغي
على الحقيقة طاعة ربنا ولينا ۞ ولن ندخر عنك وسعا
في جهاد عدو الله وعدونا ۞ فاثنى عليهم ثنا بعث به
نشاطهم ۞ وشكرهم شكرا احكم به عقدهم ورباطهم
ولم يكن باسرع من اتصل بالملك عما حل بعسكره الخبر ۞
ونمى اليه ما نالهم من القتل المبير فشق ذلك عليه وكبر ۞
فاستدعى ذوي الاراء من وزرايه ۞ واولي العزم من
قواده وامرايه ۞ فقص عليهم نبا الوقعه ۞ واعلمهم

ما ورد عليه من ذلك مما قد اغشى ناظره واصم سمعه فكل
اشار بمعاجلتهم ◉ وان لا يهمل امرهم فيسري الداء في مجاوريهم
فدعا من جيشه عظيما فضم اليه جيشا مجرا ◉ وامرهم
ان لا يخالفوا له نهيا ◉ ولا يعصوا له امرا ◉ وقالوا له
سر الى هذا البغاث المستنسر ◉ وصر الى هذا الجمع الذي
هو غير مستنسر ◉ فخذهم في الجوامع والكبول ◉ واسرع اليهم
بهم الجوع والقفول ◉ فان عاصوك معاصاة المشاق ◉
وابدوا لك صفحة الغادر المارق ◉ فاستاصل منهم
الشافه ولا تاخذك بهم في دين الله رحمة ولا رافه
فسار من وقته لا يلوي على شيء ولا يعرج ◉ ولا يتورع
عن قتل من يلقى في طريقه ولا يتحرج ◉ حتى نزل

الخلل

بساحتهم ◉ وحل بحبوحة باحتهم ◉ فلما اعلم بهم اهل
القرى اقبلوا نحوهم مهطعين وجاءوا اليهم مسرعين
قد استلاموا وتلببوا ◉ وتالفوا وتحربوا ◉ يقدمهم
الشيخ وفي يده عصاه ◉ ويسير امامهم محرضا على جهاد
من حاد الله وعصاه ◉ فلما تراءى الجمعان قال لهم اهل
القرى يا هؤلاء فيم اتيتم وعلام استسمتم امركم ونبيتم
قالوا جئنا لردكم الى الطاعة التي جعلتم ربقتها
واعادتكم الى الجماعة التي فارقتم طريقتها ◉ وتكبس
ما قد رفعتموه للشقاق من رايه ◉ والاهابة بكم الى حضرة
السلطان لينفذ فيكم حكمه ◉ ويرى فيكم رايه
قالوا اني يكون له الملك علينا وقد مرق من الدين كما

يمزق السهم من الرميه ۞ وسلط المشركين على اهل العصيبه
لله والحميه ۞ وعطل الحدود المشروعه ۞ وفارق
السنن المتوعه ۞ فليس له عندنا الا الجهاد الذي
تعتقده فرضا علينا حتما ۞ والقتال الذي يمضي عليه
قدما ۞ ونرى الموت في سبيله غنما ۞ فلم يرد عليهم
مقدم الجيش الجواب لاحملة احتمل فيها من اوزاره ما
احتمل ۞ وثبت له اهل القرى فكانت الدايرة عليه فقتل
من اصحابه اضعاف ما قتل فنزل بهم الخذلان فولوا
الادبار ۞ وظنوا ان النجاة في الفرار ۞ فاخذتهم
السيوف من كل مكان ۞ ولم تكن الا ساعة حتى دخلوا
في خبر كان ۞ ولم ينج منهم الا فل يسير كانوا برد الخبر

والناقلين عن اصحابهم ما حل بهم من صاريف الغيبه
واستباح اهل القرى ما خلفوه في معسكرهم بعد الهزيمه
من غنيمه ۞ وحصلوا من الاسلحه والامتعه على كل خطير
دي قيمه ۞ وعادوا الى قرار دارهم ومحل استقرارهم
وقد ملوا من الاسلاب حقايبهم ۞ واثقلوا بالاثقال
ركايبهم ۞ اشد ما كانوا استيسادا وضراوه ۞
واعظم ما كانوا على اعدايهم غلظة وقساوه ۞ فلما
صاروا في مجمع ناديهم ۞ ومجتمع حاضرهم وباديهم ۞
اقبل عليهم الشيخ وقد برقت من السرور اسارير ۞
ولاحت على وجهه من البشر تباشير ۞ قال
الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون ۞ فاتقوا الله

واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين الذين
يفسدون في الارض ولا يصلحون فخروا له سجدا
للاذقان وخعوا له بالاستكافه والاذعان
فقال لهم كونوا من الله على موعدة من النصر لن تخلفوها
فليورثنكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم
تطوفوها فلما وصل اوليك الفل الى السلطان واخبروه
عما لقي اصحابه لا عن الخبر بل عن العيان وعرفوه ما
راوه من الشيخ المحتسب وبلوه من الزاهد المعتزي الى
الدين المنتسب عض على انامله حتى كاد يشرق منها
بالدم وندم على ما فرط فيه من قتله ولكن اي
ساعة مندم واعترته لوقته شدة العروا

وتمثل نفسه بصورة من سلف من الادواء والامه
حينيذ من كان نصحه من قبل على سوء صنيعه
وعنفوه على ما كان من تضجيعه في امره وتضييعه ثم
اخذ في تحهيز العساكر نحوهم وتسريحها وتصريف الاراء
في بابهم وتقليبها فما توجه اليهم بعدها عسكر الا كسر
ولا سارت له نحوهم سرية الا قتل كل من فيها او اسر
هذا وهيبة الملك تقل والاحوال تتلاشى وتضمحل
والاراء تختلف والتدبير يسوء فلا ينهى عند حد من
الفساد ولا يقف الى ان يبلغ الكتاب اجله وسبق
القضاء كل ريب وعجله واستوفا الاكل اكله ففعل له
الموت فاه فاكله واجتمع بقيه اهل القرى والاطراف

على عقد رايه الخلاف ۞ وسارو الى الفيه الخارجه
فكانو الها عضدا ۞ واجتمعت ايديهم المتفرقه فصارت
يدا ۞ واجمعوا بما راه لهم الشيخ على قصد مدينه السلطان
لحصارها ۞ وازالة الدوله التى كانت تزهى على الدول
بكثره اتباعها وانصارها ۞ فنزل بهم الشيخ عليها فى
عساكر لا تعد جموعها ۞ وعشاير ضاقت بهم من تلك
النواحى ربوعها ۞ ولم يزل يراوحها القتال ويعاديها
ويمنعها المرافق التى بها من فيها ۞ الى ان ضاق
بهم الخناق ۞ وكلت منهم القوى وضعف الارماق
فصاح بهم صيحه واحده ما لها من فواق ۞ فادهلت
كل مرضعه عن طفلها ۞ واسقطت كل حامل ما اجنته

من حملها ۞ ودخل المدينه على حين غفله من اهلها ۞
فقرى ادیمها واستباح حرمها وحريمها ۞ وعم بالقتل
صغيرها وكبيرها وصحيحها وسقيمها ۞ ثم احتوى على قصر
الملكه واستوى على سرير ملكه ۞ واصبح خبرا بما
قد ظهر لاتباعه من معجزات صدقه ومعضلات فتكه
وزاد فيما كان يظهره فى جبلته بنهده ونسكه ۞
ليحسم بالمبالغه فى الخشونه عن كل منهم ماده ٥
ريبه وشكه ۞ وخرج سلطان المدينه منها خايفا
يترقب ۞ وخلفه من اعداه حاسرا يتعقب حتى لحق
نفرا يسيرا من خاصته الى بعض معاقله التى كان يعدها
لمهماته ۞ ويعتدها عصمه عند طروق هذا الحادث

والمامه ❁ وتبعه الشيخ في جيوش فاتت مدّ العدك
والاحصا ❁ مجدًّا في طلبه لا يالو اجهدًا في الايغال
والاستقصا ❁ حتى لحق بالمعقل الذي تحصّن بامتناعه
فاحاط به احاطة تمنع من نجائه وابتاعه ❁ واذاقهم
من حرّ القتال ما احلاهم سعيرا ❁ وارّاهم في كل يوم
من ايام النزال يومًا عبوسًا قمطريرا ❁ ورمّاهم من
وسل النكال بما حلّ من عزائمهم المعاقد ❁ وجرعهم من
مرارة التضييق ما حقّق عندهم من النصّ اخلاق المواعد
وقد فهم من حجارة المنجنيق بما اتى الله به بنيانهم من
القواعد ❁ فافتتحها بالسيف عنوة ❁ واحلّ بمن كان
فيها باسه وسطوه فقرع بقراعه صفاتها وكانت لا تقرع

لها الحوادث مثله ❁ واوتي يا الملك اسيرًا فقتله صبرا
وامر بصلبه على باب المدينة فجاء والامر بذلك شيا نكرا
ثم سار الى بقية المعاقل والحصون فاوسعها تضييقًا وحصرا
ومنح في جميع وقايعه فتحًا ونصرا ❁ فاستولى على جميع البلاد
قهرًا او قشرا ❁ لا تدري لعلّ الله يحدث بعد ذلك
امرا ❁ فكانت هذه ايها الملك عاقبة استهانة ذلك
السلطان القوي بذلك الفقير الضعيف واستصعافه
وحرمة تفريطه فيما كان من استهزايه بامره واستخفافه
فلا تحقرنّ ايها الملك ضعيفًا لضعفه ووهنه ❁
ولا تستصغرنّ صغيرًا ولو افرط في حداثة سنه ❁
لا سيما اذا كان ذلك الضعيف باهل الصلاح متشبّها

وبدعاوي العلم ❁ والزهد والورع مخرقا موهما ❁
فان ذلك هو السم الدبي يدب بلطفه في الاعضاء ويسري
ويسرع في هلاك صاحبه وهو لا يدري **فلما**
انتهى الكلام بهما مع الملك الى هذا الحد وعرف حسن
تصرفها في فنون الهزل والجد ❁ قصر عليها نظره ❁
ووفر لها من وقته اكثره ❁ فوهبه الله منها غلاما
زكيا ❁ واخرج له من صلبه وترايبها بشرا سويا
فعظم به سروره وسروره اهل مملكته ❁ وتحققوا
ابقا الملك في عقبه وذريته ❁ فلما تجاوز الغلام
حد الفطام ❁ واحتملت قوته نقل الشراب والطعام
قالت له ايها الملك انه ينبغي لك ان تحضر لولدك

جليسا فاضلا ❁ وترتاد له حكيما عالما عاملا ❁
ممن غذي بنعمتك ❁ ونشا في ظل دولتك ليعرف
من اجه من الصغر ❁ ويستغني لكثرة الخبر بتفاصيل
احواله في كثير من الاوقات عن العيان بالخبر ❁ فيقر له
من الاغذية ما يلائمه لتدوم به صحته ❁ ويقدر له
من الحركات والحمية ما يحمله لتستتم به مصلحته ❁ فاذا
بلغ سن التعليم ❁ واحتاج الى التبصير والتفهم ❁ وجب
ان تلتمس له جليسا صالحا ورعا متفننا في العلوم متوسعا
فيكون ذلك طيبا لجسمه وهذا طيبا لنفسه وذاك
عنايته بتدبير احوال بدنه وهذا همته في تنوير قلبه ❁
للاهتداء في التقرب الى محل قدسه ❁ وينبغي ان يتقدم

اليه بطاعته كل منهما وتوفير حظه من الاكرام ❁ وان تخص
بالزيادة من ذلك جليسه لفضل طب النفوس على طب الاجسام ❁
وتامر جليسه بان يجعل له وقتا مخصوصا لتعليمه ❁ وقدرا
من الزمان معينا لتاديبه وتقويمه ❁ وان لا تشغل زمانه
كله بفنون الجد ❁ ولا يحمل على قريحته ما لا تطيقه فينهضها
بكثرة الكد ❁ فان القلوب اذا اكرهت عميت ❁ والقرائح
اذا لم تروح تبلدت وفسدت ❁ والملك اذا لم يكن له
حظ من العلوم كان ناقصا في نفوس رعيته ولم يكن للاداب
والفضايل عنده سوق لفقدان اهليته ❁ ومن سعادة
جد الملك ان يكون له وزير صالح ❁ ومشير ناصح ❁ وجليس
مغاد له بالحكمة مراوح ❁ وطبيب لادواء جسمه ناصح

ففعل الملك ذلك بوله ❁ فنشا من الاخلاق الجميلة على ما
دل به على طهارة مولده ❁ وظهر فيه من مخايل النجابة ما
كان كالطليعة لما يستقبله من النجاح في غايه ❁ وصلح بعد
ذلك لان يؤهل بعده للاستخلاف ❁ واستحق ولاية العهد
بما ارتفع في فضله من الخلاف ❁ فقال الملك يوما لامه
وقد سرته ❁ وتمكنت من قلبه بما وصلته به من هديه النصايح
وبرته ❁ اني اريد ان اجعله لاقوال العلماء مطالعا
ولهم في اخلافهم واذنابهم متابعا ❁ فما الذي ينبغي ان
يقتصر به من ذلك عليه ❁ ويلزم الاشتغال به ليكون همته
مصروفة اليه ❁ فقالت انه قد اخذ بحمد الله من علوم الدين
بالحظ الاوفى ❁ واهتدى بانوار هدايته فبصر بعد ما

استبصر ❁ والاكثار مما امل واضجر ❁ والعلم اكثر من
ان تحصى فخذ منه باحسن ما يروي ويؤثر ❁ وقد اهلته
لامر فينبغي ان يكون شغله في هذا الوقت بما ينتفع به فيه
والزامه بحفظ ما هو مفتقر الى العمل به في وقت توليه
وقد بلغني ان الاسكندر قال للمعلم اصنع لي شيئا من
السياسه اعتمد عليها امر الملك فصنف له في ذلك
كتابا طال عليه مطالعتها وعسر عليه لكثره الاشتغال
معاودتها في كل وقت ومراجعتها ❁ فسأله ان يختصر له
قولا وجيزا يجمع المعاني الكثيره في اللفظ القليل ويجد
السامع له على اختصاره ثلج الصدور وبرد الغليل فاختصر
له هذه الكلمات فلم تزل تخت وسادة الاسكندر الى
ان مات ❁ وهي العالم بستان سياجه الملة
الملة شريعة يقوم بها الملك ❁ الملك راع يعضده الجيش
الجيش اعوان يكفلهم المال ❁ المال رزق تجمعه الرعية
الرعية عبيد يستر قهم العدل ❁ العدل ما لوف به
قوام العالم ثم شرح الحكيم هذه الالفاظ
فقال اما هذا المقصد العالم هم الامم المجتمعة في الامصار
المشتملة عليهم اكناف الاقطار ❁ والملة هي الشريعة التي
بها يدينون ❁ والي اوامرهم واحكامها في احوالهم وتصرفا
يرجعون ❁ فمثل العالم بالبستان المشتمل على اصناف
الاشجار التي هي صنوان وغير صنوان ❁ كما اشتمل على العالم
على الناس المختلفي الانواع والاجناس ❁ وشبه الشريعه

تهم

بالسياج على البستان وهو الحايط الذي حوله وقاية
وصوان لانها تحوطهم بلوازم احكامها عن مهاوي الزلل
وتصون تصرفاتهم بحوازم اوامرها عن مواقع الخلل وتكف
يد الظالم عن اعتدائها ۞ وتعين نفس المظلوم بعد اشتمالها
بالدل وارتدائها ۞ وبانوار هدايتها تستنير مشارف
العقول ۞ وبالاخذ بفرايضها وسننها يكون البلوغ الى
السعادة الابدية والوصول ۞ فلولا الشريعة اشتمل
الفساد وعم ۞ وانتشر الضلال فلم يجمع اطرافه ولم يصم
ثم تبين ان الملة لا تقوم الا بقايم يحفظ نظامها ۞ وتقيم
حدودها ويعقد احكامها ۞ ويحرس من الخلل قوانينها
واوضاعها ۞ ويقوم بالتاديب من اهمل حقوقها واضاعها

وهو الملك الذي يذب عنها سوطه وسيفه ۞ ويمنع منها
كل عاد يريدها بخفه وحيفه ۞ ثم اعلم انه لا يمضى
له حكم ۞ ولا ينفذ له عزم ۞ الا بالجيش الذي يقهر
به من عانده وناواه ۞ ويرد به الى الدين من عان وقاواه

فقال والملك راع يعضده الجيش ثم تبين ان الجيش
لا يستقيم احوالهم ۞ ولا يقوم اودهم واختلالهم الا
بالرزق الذي يغني فاقتهم ۞ ويكفيهم اضافتهم لانه ليس لهم
غير الحرب صناعه ۞ ولا سوى مقاومة الاعداء حرفة
يشتغلون بها من تجارة او اعتقاد عقده بضاعه ۞ فوجب
ان يكون ارزاقهم دانية موفرة ۞ ونفقاتهم في وقت استحقاقها
تامة غير متاخرة

فقال والجيش اعوان يكفلهم

المال ✿ ثم بين ان المال لا يحصل الا بواسطة تحصيل الرعيه
فانهم الذين يحرثون ويزرعون ويتعاطون الاسباب التي
بها تثمر المال ويجمعون **فقال** والمال
رزق تجمعه الرعيه ✿ ثم بين ان الرعيه لا تجتمع الا بالعدل
لان الظلم يدع الديار بلاقع فيهلك الحرث والنسل واذا
فشا الظلم في قطر من الاقطار منعت السما والعياذ بالله
ذرها ✿ وحبست الارض عنه خيرها ✿ وانقطعت عنه ورود
السفار ✿ ونحا ما قصده ارباب الاموال من التجار ✿ وعز فيه
وجود ما هو مبتذل في غيره وانجلا عنه اهله فرقا من شره
وباسا من خبيثه **فقال** والرعيه عبيد يستر قهم
العدل للملك اساس عليه الاعتماد ✿ وسببا قويا لحياة العباد

فصار العدل

وعمارة البلاد **فقال** والعدل ما لوق به قوام
العالم ✿ ثم قالت له ايها الملك ادام الله سرورك
ولا اخلا منك سريرك ✿ ان الملك لا تتسع اوقاته لمباشرة
جميع الاحوال بنفسه ولا بد له من اعوان يحملون عنه ما
تعجز قوته عن حمله فان كلف نفسه فوق طاقتها بطلت وان
وقف الاحوال كلها على نفسه وقفت وتعطلت وهو
يفتقر في اقامة الشريعة الى قاض عالم باسرارها ✿
مطلع على غوامضها واغوارها ✿ بصير بالحكم في موضوعها
متقن للعلم باصولها وفروعها ✿ خبير ذي دربة بتنفيذ
الاحكام ✿ عارف بسياسة اخلاق الخواص والعوام ✿
بعيد من الهوى لا يطمع القوي في خلله ✿ ولا ييس الضعيف

من انصافه وعدله ودرع لا تعلق به الدنايا والمآثم
ذي هيبة يكتفي بها المظلوم في انصافه من الظالم فمتى
طرق به الملك فهو من اقبال حده وكمال سعده
ويحتاج في امن جيشه الى مقدم مقدام عالم بمكايد
الحروب بالمباشرة غني عن الاستعلام حسن السياسة
لقلوب الرجال عارف بشرايع المجاوره وشروط
القتال خبير بالنظر في احوال الاجناد شديد الاخذ
لهم بان يكونوا في جميع اوقاتهم على اتم اهبة واكمل
استعداد بصير بتفقد الاسلحه والعدة تاقب الامعيه
في التفرقه بين من يحب ارتباطه وبين من يحب اسقاطه من العده
كثير المعرفه من الرجال بمواقع التفضل شديد النظر في الحمل

من هذه الامور والتفضل ويحتاج في تزجيه جهات الاموال
وتشميرها وتنميه وجوه الارتفاع وتكثيرها الى عمال
يجمعون الى الكفايه الامانة والى النهضه الصيانه
مقدرين امور الاستخراج على احوال لا تعسف بالرعيه
مقررين وجوه الاموال والخراج على اوضاع تكون حقوق
بيت المال فيها ملحوظه من عيه متبتلين للنظر في المصالح
غير مهملين كاشفين في كل وقت عن احوال ارباب الضمان
والعاملين اخذين بالحوطه في جميع ما يتولونه ومن
يولونه سالكين سبيل القصد والعدل فيما يعملونه
ومن يعاملونه وخاتمة ذلك وهو اهم المؤمن ومهم
تدبير ان يكون له وزير ناصح عالم بوجوه المصالح كامل

الاحباء الفضايل ❁ مامون العواقب والغوايل ❁ متحلٍّ
بالنزاهة والظلف ❁ مبرّأ من الخيلا والصلف ❁ قد
ظهرت فى الدولة اثار كفايته ❁ واشتهرت مواقع ايالته
وكفالته ❁ وليكن ممن انشاته الدوله وغرسته ❁ وربّته
يد اصطناعها وكفلته ❁ وان ضعته درّ احسانها فما
فطمته ❁ فهذا يدأب فى مصالحها دأب الساعى لنفسه
ويعمل فى سياستها علم العالم انه مستثمر لجناغرسه ❁ لا
يوثر ابدًا الا تشييد منارها ❁ وحسين اثارها ❁ ولا يسعى
الا فى توطيد قواعدها ❁ وزفع منارها ❁ ويحل عن
الملك اثقال ملكته ❁ وينوب منابه فى نصرتها ❁ ويعشته
على القيام باعبايها ❁ والنهوض بتكاليفها ❁ ويوفر عليه

اوقار

اوقات راحته التى تحمّ قوته ❁ وازمان خلوته ❁ التى
تستخدم فريحته وتصقل فكرته ❁ فان الملك لا يحتمل ان
يحلا لحظة واحدة من حسن النظر ❁ ولا يطق اهماله
طرفه عين عن صواب التدبير العايد بجميل الاثر **وقد**
سُيل بعض من زالت عنه حلية ملكه ❁ وركبت
بسوء التدبير رياح فلكه ❁ عن سبب فساد امره ❁
واتضاح قدره **فقال** تاخير ما ينبغى تنفيذه اليوم
الى غد واهمال الاستعداد لكل ما ينبغى ان يتاهب له
ويستعد وذلك ان لكل زمان حظه من العمل الذى
لا يحتمل سواه ❁ فاذا حمل على اليوم غد اضر به ومن
تعاطاه ❁ فاذا اجتمع للملك وزير ناصح وقارض

ورع صالح ومقدم جيش خبير باعمال الحروب لشروطه
حافظ وعامل امين مستقل بالعمل ناهض انتظم امر
دولته واستقام واستوى على سوق الاتساق وقام
ومهما اختل من نهده الاركان اختل من الملك بقدر ما
وهى ومهما فسد من نهده الشرايط فسد من احواله
على السوى فلما تمت نهده الالفاظ وحسن
من الملك بها الانعاظ قال لها لقد احسنت
فيما اتيت ونظمت الدر ونثرت فيما امرت به امرت
واشرت فجربت خيرا من قرين جمعت به الخيرات في
قرن ولا زال حكم مواعظك تجلوا القلوب ويرخص
عنها الدرن ثم امر الملك فعملت لولده دايته سطرت

فيها

فيها الفاظ الحكيم واضيف اليها الشرح الذي
يجري منها مجرى الاوضاح من البهيم واخذ ولده
بدراسة ذلك وحفظه والنظر في معاني اداب
واسرار وعظه فانتفع الولد بحفظها وسعد
وجعلها نصب عينه فكان في التدبير اليها يرجع
وعليها يعتمد
تم كتاب اساس السياسة
والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد نبي الرحمة وعلى اله واصحابه وسلم